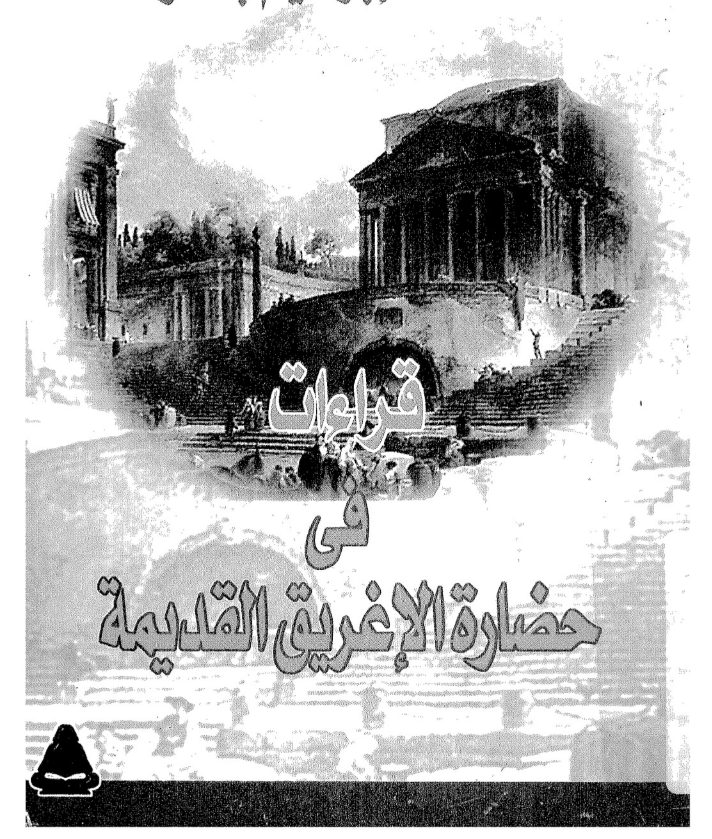
د. محمد إبراهيم بكر



قراءات في حضارة الإغريق القديمة

قراءات فى حضارة الإغريق القديمة

تصميم الغلاف :
صبرى عبد الواحد
الإخراج الفنى :
مادلين أيوب

قراءات
فى حضارة الإغريق

إعداد

أ.د. محمد إبراهيم بكر



تمهيد

عقب العودة من بعثتى الدراسية فى برلين بألمانيا إلى جامعة القاهرة ثم إلى جامعة الزقازيق منذ إنشائها فى منتصف السبعينيات وجدت لزاماً علىّ أن أسهم فى تدريس مادة التاريخ الإغريقى للطلاب وخاصة أنها من أمتع المواد الدراسية لما تحويه من أوان الفكر والفلسفة والفنون والآداب.

فحزمت أمرى وحاولت أن أستعيد دراساتى وقراءاتى السابقة، وأخذت أنقحها عشرات المرات على مدى ثلاثين عاماً، وفى كل مرة كنت أنتوى فيها طبعها فى كتاب كنت أتراجع بسبب إدراكى لصعوبة الكتابة فى تاريخ وحضارة الإغريق.

ولا جدال فى أن حضارة الإغريق قد استفادت من

الحضارات السابقة لها فى منطقة الشرق الأوسط القديم وخاصة من الحضارة المصرية، حيث اعترف رواد الحضارة الإغريقية بزياراتهم الطويلة إلى أرض وادى النيل وتلقيهم العلم على أيدى علماء مصر القديمة فى منف وفى طيبة وفى سايس وغيرها من المدن المصرية العريقة التى تعد رموزًا للتطور المادى والفكرى فى مصر.

وقد يلاحظ القارئ فى المتن بعض التقصير هنا أو هناك، فأرجو المعذرة.

وقد يرى أننى ربما استفدت كثيرًا من مذكراتى السابقة التى أعددتها معتمدًا على مراجع شتى وترجمات مختلفة لم أجد هنا مجالاً للإشارة إليها فى حينها نظرًا لتعرضها لكثير من الإضافة والتغيير والتبديل والتعديل عبر سنوات الممارسة الطويلة فى التدريس الجامعى.

وأخيرًا أتمنى أن يجد القارئ العزيز فى كتاباتى المتواضعة عن تاريخ أمة الإغريق القديمة بعض الفائدة.

والله المستعان،،،

القاهرة فى سبتمبر ٢٠٠٠

أ.د./ محمد إبراهيم بكر

مقدمة
الظروف الطبيعية للمنطقة الإيجية

تؤلف منطقة البحر الإيجى وحدة من الناحية الجغرافية ومن الناحية التاريخية ومن نواحى عدة، مع العلم أنها تشتمل على أجزاء من قارتين هما آسيا وأوروبا وعلى مئات من الجزر التى تقع بينهما، فالمنطقة الإيجية اشتملت فى الزمن القديم على أربعة أقسام:

١ ـ القسم الجنوبى من شبه جزيرة البلقان وهو ما يعرف باسم بلاد الإغريق أو اليونان (Greece) أو هللاس (Hellas).

٢ ـ مجموعة الجزر التى تبلغ المئات (جزر بحر إيجة والكيكلاد وغيرها).

٣ ـ جزيرة كريت على اعتبار أنهما موقع أقدم حضارات المنطقة الإيجية.

٤ ـ الشريط الساحلى لآسيا الصغرى والذى يطل على البحر الإيجى.

١ ـ أما بلاد الإغريق فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(أ) الشمالى.

(ب) الأوسط.

(جـ) الجنوبى ويعرف بالبلوبونيز (شبه جزيرة المورة).

ويفصلها عن بقية شبه جزيرة البلقان سلسلة جبال البلقان، والتى تمتد لتشمل معظم بلاد اليونان الحالية.

(أ) ولعل أهم أجزاء منطقة شمال اليونان أن يكون سهل تساليا الخصب الذى يرويه نهر بنيوس (Peneus) الذى يصب فى البحر الإيجى.

(ب) أما منطقة وسط المرتفعات فتشتمل على عدد من الأودية تتوسط المرتفعات التى تنتشر فى شبه جزيرة أتيكا (Attika)، ويربطها بشمال بلاد اليونان الممر الضيق الشهير ثرموفيلاى (Thermopylae)، وفى شرق هذه المنطقة تقع الجزيرة الكبيرة يوبيا (Euboea).

(جـ) ومنطقة البلوبونيز تحيط بها من جميع الجهات ما عدا الجزء الضيق من الأرض المعروف باسم برزخ كورنثة مياه البحر الإيجى شرقاً والبحر اليونى من الغرب وخلجانها.

وتتألف هذه المنطقة من أجزاء عديدة تفصل بينها الجبال التى لا ترتفع لأكثر من مائتى متر فى جميع أنحاء اليونان، وكانت البلاد تفتقر إلى وجود الأنهار الكبيرة، ولذا تعذر إقامة أيّة شبكة للرى فيها، مثلما كان عليه الحال فى معظم بلاد الشرق القديم.. أما الشاطئ الشرقى فذو انحدار معقول.

وبينما عزلت الجبال القبائل التى استوطنت حوض البحر الإيجى نجد أن مئات الجزر قد ربطت بينها، فالملاح الذى يبحر من بلاد اليونان فى البحر الإيجى نحو الساحل الآسيوى لا تغيب عن عينيه صورة الأرض نظراً لكثرة الجزر التى تقابله فى الطريق، مما خلق الظروف الملائمة لتطور الصناعات التى تقوم عليها صناعة بناء السفن.

أما المنطقة الإيجية على سواحل آسيا الصغرى فقد تميزت بكثرة خلجانها ومصاب أنهارها الصالحة للملاحة التى تطل على الوديان الواسعة الخصبة، والطقس فيها حار جاف صيفاً، وفى الشتاء يسقط الجزء الأعظم من الأمطار السنوية تسببها هبوب رياح البحر المتوسط الجنوبية والجنوبية الغربية، وتمتد الدورة الزراعية من نهاية الخريف حتى فصل الربيع، أى أنها تشمل معظم فترة سقوط الأمطار، حيث الحياة الزراعية عليها.

وكانت الأرض الصالحة للزراعة قليلة، ولذلك لم تكن غلة الأرض تكفى سكانها، ولكن السكان برعوا فى زراعة الحدائق واستخلاص الزيوت وفى تقطير الخمور أيضاً.

وقد شكل صيد السمك وكذلك تربية الحيوان قسماً هاماً فى اقتصاديات البلاد وعلى الأخص تربية الضأن والماعز، أما تربية الأبقار والخيول فازدهرت فى تساليا بوجه خاص.

وكانت الأرض غنية بثرواتها كالمرمر وطينة الفخار الجيد، ومن المعادن الفضة والنحاس والرصاص، وفى المرحلة المتأخرة ظهر الحديد أيضاً، ثم الذهب فى جزيرة تاسوس (Thasos) على الطريق البحرى ما بين خلقدونية والبوسفور، كما ظهر الذهب أيضاً فى تراقيا (وهى ضمن بلغاريا الحالية).

ولقد تردد فى الملاحم الإغريقية وفى الأساطير ذكريات عن التاريخ القديم للبلاد، فهناك روايات عن قوة الملك مينوس (Minos)، وعن موكيناى (Mykenae) الغنية ذات الذهب الوفير.

وتحدثت الملاحم عن الحرب الطروادية بأحداثها التى استمرت عشر سنين، وأجريت حفائر منظمة فى طروادة وفى تيرونس (Tiryns)، وفى جزيرة كريت، وفى مئات من المواقع الأثرية على الشواطئ وفى الجزر المنتشرة فى البحر الإيجى بحثاً وراء التراث القديم، ولقد أثبتت نتائج تلك الحفائر صدق التراث المتواتر عن الرواية، رغم ما يحيط به من طابع الأساطير، وأن هذا التراث هو نتاج خصب لحضارات قامت فى الألف الثانى وبعضها فى الألف الثالث قبل الميلاد، وسوف نتناول المراحل المختلفة لتلك الحضارة الغنية من واقع مصادرها المتعددة بالتفصيل.

* * *

امبراطورية كريت البحرية
٢٤٠٠ ـ ١٤٠٠ ق.م

لم يكشف النقاب عن هذه الحضارة إلا خلال القرنين الماضيين حين بدأت تظهر فى المناطق الأثرية المنتشرة حول البحر الإيجى بعضاً من آثار الإمبراطورية الكريتية العظيمة.

وإذا نظرنا لخريطة المنطقة فسوف نتبين أن البحر الإيجى قد فصل عن بقية مناطق البحر المتوسط مكوناً عالماًخاصاً، وذلك بواسطة شبه جزيرة اليونان فى الغرب، وآسيا الصغرى فى الشرق، وكريت وبقية الجزر فى الجنوب، وهناك كثير من الجزر فى البحر الإيجى، ومنذ أقدم العصور وربما الألف الثالث قبل الميلاد كانت المراكب الشراعية تبحر من جزيرة لأخرى ومن شاطئ لشاطئ آخر رابطة بذلك كل ركن فى المنطقة الإيجية، والأهم من ذلك أنها ربطت بينها وبين الحضارة المصرية فى الجنوب، حيث استفاد الإيجيون فى صلاتهم مع مصر،

فتعلموا من المصريين فنون البناء والرسم وصناعة الفخار والزجاج ثم استعمال المعادن وكثيراً من المعارف الأخرى، ولهذا كانت هذه المنطقة من البحر المتوسط هى أهم منطقة أوروبية تنتقل من العصور الحجرية التى اتخذ فيها الإنسان معظم أدواته من الحجر إلى عصور استعمال المعادن فى صناعة أدواته وأسلحته.

وأصبحت جزيرة كريت ـ التى تمثل الحدود الجنوبية للبحر الإيجى ـ مركزًا لأول إمبراطورية بحرية فى المنطقة فى المدة ما بين ٢٤٠٠ ـ ١٤٠٠ ق.م.

وهكذا سيطر ملوك كريت من عاصمتهم كنوسوس (Knossos) على جميع جزر وشواطئ البحر الإيجى، بما فى ذلك تلك البلاد التى سميت فيما بعد بلاد الإغريق، فكان التجار الكريتيون يتنقلون هنا وهناك بنشاط حاملين معهم معرفتهم بصناعة المعادن وغيرها من الفنون المصرية والشرقية إلى إيطاليا وجنوب فرنسا والبرتغال، حيث انتقلت هذه الخبرات من تلك البلاد إلى شمال أوروبا واسكندنافيا فيما بعد.

وفى الأزمنة التالية كان الإغريق يعتقدون فى أسطورة تقول أن كريت كان يحكمها ملك يدعى مينوس (Minos)، ولذلك فإن إمبراطورية كريت البحرية غالباً ما تسمى الإمبراطورية المينوية، وطبقاً لتلك الأسطورة كان على أهالى مدينة أثينا الإغريق أن يرسلوا الجزية إلى الملك مينوس سنوياً وضمنها سبع شبان وسبع فتيات،

ليقدموا قرباناً لوحش يدعى مينوتاور (Menotaur) نصفه إنسان والنصف الآخر على هيئة ثور، وكان يتخذ من مبنى اللابرنت (labyrinth) (قصر التيه) سكناً له وقد حدث أن أرسل الإغريق أحد أبطالهم (ثسيوس) (Theseus) ضمن الجزية السنوية ليقدم قرباناً للوحش المذكور، ولكن الأميرة أريادنا ابنة الملك (مينوس) وقعت فى حب البطل (ثسيوس) فأعطته سيفاً وكرة من الخيط ليستعين بهما فى قتل الوحش، ثم لتحديد طريقة ليتمكن بعدها من الخروج والعودة سالماً من حيث أتى ولا يتوه فى قصر التيه، وانتصر البطل فعلاً على الوحش وخرج سالماً وأنهى بذلك مأساة أهل أثينا.

وتعرضت كريت حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد لكارثة، حين غزاها عنصر بشرى جديد الذى اجتاح المنطقة الإيجية من الشمال، ووطئ الغزاة الآخيون جزيرة كريت وأحرقوا العاصمة كنوسوس، حيث فر بعض الكريتيين فى سفنهم إلى المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم فلسطين وتسببوا فى ظهور المدن الفلسطينية على الساحل الشرقى للبحر المتوسط.

وهكذا سيطر الغزاة الجدد على الأراضى الإيجية، وقضوا منذ ذلك الحين على الإمبراطورية المينوية.

معالم الحضارة المينوية

وفى خرائب العاصمة كنوسوس ناحية الشاطئ الشمالى لكريت كشف رجال الآثار بقايا قصر الملك مينوس، وهو عبارة عن مبنى ضخم من الحجارة متأثر بالطراز المصرى، يتوسطه فناء ومن حوله

قاعات وغرف نوم ومخازن وغيرها، أما الأوانى والجرار الفخارية التى عثر عليها فقد صنعت بدقة وعناية، وبعضها بلغت رقته أجود أنواع البورسلان وعليه زخارف جميلة مرسومة بالألوان على خلفية سوداء.

وقرب نهاية الإمبراطورية المينوية حوالى ١٦٠٠ قبل الميلاد بُنى قصر جديد ذو قاعة ذات أعمدة ضخمة تؤدى إلى سلالم عريضة، وفى ذلك العصر حلت الأوانى المصنوعة من البورسلان محل الأوانى الفخارية، وظهرت رسوم الفنان المينوى الجميلة وهى عبارة عن صور للناس والزهور، وصنع الفنان الأختام والحلى من العاج والبرونز والذهب، وعمل التماثيل الصغيرة من العاج أو البورسلان، وقد عثر على نماذج مشابهة لهذه الآثار ولكن بأعداد قليلة فى بعض مدن بلاد الإغريق، ومنها نتبين مدى انتشار الحضارة المينوية.

ومن دراسة تلك الآثار أمكننا رسم صورة لحياة الشعب المينوى، فالصور المرسومة على الفخار أو المنحوتة على العاج أو غيرها توضح لنا أن الرياضات المفضلة عند الكريتيين كانت الملاكمة والمصارعة وخاصة مصارعة الثيران التى أجادوها.

وهناك صور منحوتة على مقبض خنجر تشير إلى ممارسة رياضة صيد الأسود باستعمال الرماح والسهام، ومن دراسة الصور الأخرى نرى أن النساء كن يضعن غطاء الرأس أو شعراً مستعاراً، ويلبسن قميصاً ضيقاً عند الوسط وإزاراً طويلاً يمتد حتى القدمين، أما الرجال فكانوا يكتفون بقميص وحزام حول الوسط.

ومن أهم ما خلفته تلك الحضارة القديمة صناديق تحتوى على لوحات فخارية منحوت عليها كتابات مصورة عثر عليها فى قصر الملك مينوس وفى أماكن أخرى أيضاً، وقد ظلت هذه الكتابات من الأسرار لمدة طويلة أما الآن فقد بدأ العلماء فى فك رموزها وتعرف باسم لينيار ـ شرفت.

* * *

العصر الهلادى المبكر
من القرن ٣٠ إلى القرن ٢٢ ق.م

وتميز الأف الثالث بكثرة استعمال المعادن فى بلاد الإغريق (عصر البرونز)، حيث أن القبائل الهلادية الباكرة كانت قد ألفت استعمال المعادن وصناعتها، فإلى الجنوب الجنوب فى كورنثة فى (Zyguries) عثر على خنجر من البرونز، وفى هيرايا (Heraia) وفى إقليم أركاديا عثر على نماذج للصناعات الذهبية، أما الفضة فلم تكن تستعمل إلا فى صناعة الإبر.

وفى هذه المرحلة التاريخية حفرت المقابر الجماعية فى الصخر على شكل حفر عميقة، أما التجمعات السكانية فقد كانت تقام غالباً على التلال المرتفعة، ولم تدل مخالفات أصحابها على اختلافات جوهرية فيما بينها، بينما عثر فى حفائر تيرونز (Tiryns) وفى أقدم طبقاتها على أساسات لمبنى دائرى كبير والذى يحتمل أنه كان مقراً لرئيس

القبيلة، ولكن الواضح أن تلك القبائل التى عاشت فى الفترة الهلادية الباكرة كانت فى بداية مراحل التطور البشرى.

وحوالى ٢٥٠٠ قبل الميلاد، قامت فى تساليا (Thessalia)، حضارة اسمها دمينى (Dimini) التى عاصرت الحضارة الهلادية الباكرة انتشرت نحو الجنوب حتى وصلت إلى جزيرة كريت.

وكانت القبائل الهلادية الباكرة تتكلم لغة ليست هند أوروبية، ويلاحظ فى اللغة الإغريقية القديمة وجود عدد كبير من الكلمات التى تنتهى بالحرف (se, nt, nth) والتى لا توجد فى غيرها من اللغات الهند أوروبية، وغالباً ما ترجع تلك الكلمات إلى الأصول الهلادية الباكرة التى استوطنت بلاد الإغريق فى الألف الثالث قبل الميلاد، ولابد أن تلك القبائل تمت بصلة قرابة إلى سكان آسيا الصغرى الأقدمين حيث توجد بينهما اصطلاحات جغرافية متشابهة كذلك فإن الفخار المميز لهذه المرحلة الزمنية فى بلاد الإغريق عثر على شبيه له فى حفائر مدينة طروادة، فى شمال غرب منطقة آسيا الصغرى.

وكان الإغريق يطلقون على السكان الأقدمين لبلادهم اسم البلازجيين (Palasgaen) أو الكاريين (Karean) وهذه القبائل التى استوطنت المنطقة الأيجية (Agais) فى العصر الحجرى الحديث لا تمت بصلة إلى مجموعة الشعوب التى تتكلم اللغات الهند أوروبية.

***

العصر الهلادى الوسيط
العصر المينوى
من القرن ٢١ إلى القرن ١٧ ق.م

ما بين عام ٢٢٠٠ ق.م/ وعام ٢٠٠٠ ق.م تعرض الجزء الجنوبى لبلاد البلقان لهجرة كبيرة، حين وفدت من الشمال موجات من القبائل الإغريقية إلى المنطقة وهم الإغريق (أو اليونانيون) الأوائل، وربما وفدوا من آسيا الصغرى عن طريق مضيق الدرنيل، ولقد أسماهم الإغريق أنفسهم فيما بعد بالهيلينيين.

وفى الحفائر اتضح أن الطبقة التى تضم مخلفات الحضارة الهلادية المبكرة فصلت عن الطبقة التى تليها من الناحية الزمنية بواسطة طبقة من الرماد مما يدل على حدوث حريق، كما تبين أن بعض المراكز الحضارية التى تنتمى للحضارة الهلادية الباكرة قد هجرها أصحابها

وربما بسبب هجرة الغزاة الجدد، وسمى المؤرخون الغزاة الجدد باسم المينويين وكذلك الآثار المميزة لهم (وخاصة الفخار الرمادى) الذى عثر عليه لأول مرة فى أرخومينس (Orchomenos) فى منطقة بيوتيا (Boetia)، حيث ذكرت الأساطير أن الملك مينوس (Minos) الأسطورى قد عاش هناك، ويؤرخ الفخار المينوى ذو اللون الرمادى بالقرن الأول من الألف الثانى قبل الميلاد.

والقسم الأول من هذه المرحلة الزمنية (العصر الهلادى الوسيط) عاصر ظهور القبائل الحيثية فى وسط آسيا الصغرى، هؤلاء الذين كانوا يتحدثون لغة هند أوروبية.

والظاهر أن أولئك المينويين هم الذين جلبوا معهم اللغة الإغريقية إلى بلاد اليونان، وتعطى المصادر الأدبية القديمة معلومات شبه مؤكدة عن المراكز الحضارية التى عمرتها القبائل الهلينية خلال الألف الثانى قبل الميلاد وحتى بداية الغزو الدورى، وتتفق المعلومات مع نتائج الأبحاث اللغوية التى تناولت توزيع اللهجات الإغريقية المختلفة فى المنطقة، ففى بلاد اليونان نفسها انتشرت ثلاث قبلائل إغريقية رئيسية كبيرة وهى اليونيون (Ionien) والآخيون (Achaen) والأيوليون (Aolien).

(أ) أما اليونيون فاستوطنوا أتيكا (**Attika**) وكذلك الجزء الشمالى من البلوبونيز.

(ب) والآخيون انتشروا فى معظم البلوبونيز.

(جـ) والأيوليون الذين استوطنوا تساليا والجزء الأوسط من بلاد اليونان باستثناء منطقة أتيكا.

ولقد استطاع الآخيون الذين استوطنوا أخصب البقاع، بما فيها مواطن الحضارة القديمة أن يطوروا أنفسهم بسرعة أكثر من غيرهم من القبائل الإغريقية الأخرى.

وتوصلوا إلى نظم اجتماعية ثابتة، وإلى نظام تكوين الدولة، ثم انتشروا فى كل المنطقة الأيجية، وهكذا أسس الآخيون الدولة الموكينية التى لعبت دوراً هاماً فى أقدم مرحلة من مراحل التاريخ الإغريقى.

وحضارة هذا العصر الهلادى الوسيط قامت معتمدة فى المقام الأول على الزراعة وعلى تربية الحيوانات، كأساس لاقتصادها، وفى مواطنهم الحضارية كشف عن بقايا الشعير والقمح، وعن حبوب لبعض البقول كالبسلة والفاصوليا والعدس، وفى العديد من المنازل المينوية عثر على مشاعل تعمل بزيت الزيتون كما كشفت الحفائر عن عظام الأبقار والضأن والماعز والحمير أيضاً، مما يدل على تقدمهم فى تربية الحيوان، وكان المينويون أيضاً صيادين مهرة، فعلى جزيرة ميلوس كشف عن إناء يؤرخ بنهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر قبل الميلاد مصور عليه رسوم لعدد من الأشخاص يقفون بجوار مجرى مائى يصطادون وفى يد كل واحد منهم سمكة.

وعلى العكس من فخار العصر الهلادى المبكر فإن فخار هذا العصر قد صنع بواسطة عجلة الفخار، وفى خلال الخمسة قرون التى ازدهرت فيها حضارة العصر الهلادى الوسيط تطور فن صناعة الفخار تطوراً ملحوظاً، ولقد تميز فخار هذا العصر أيضاً عن سابقة بلونه الأصفر الذى نتج عن تطور الحرق فى الأفران بعد التوصل إلى طريقة النفخ فى الكير لرفع درجة حرارتها. أما صناعة صهر وتشكل المعادن فإنها تقدمت عما كانت عليه فى العصر السابق، حيث عثر على فؤوس برونزية وأدوات للزينة من معادن نفيسة وبعض الأوانى المعدنية وكان الميناويون يدفنون موتاهم فى وضع يشبه وضع الجنين فى بطن أمه كأنما عاد الميت إلى رحم أمه فى الأرض، فى تابوت كالصندوق من الحجر الجيرى، كما زودت المقابر بكثير من القرابين مما يشير إلى الاعتقاد فى الحياة بعد الموت.

* * *

العصر الهللادى المتأخر
العصر الموكينى

وهذا العصر يشمل الفترة من ١٦٠٠ إلى ١٠٠٠ قبل الميلاد.

وفى تاريخ اليونان ينسب هذا العصر إلى مدينة موكيناى على اعتبار أنها أهم مراكزه الحضارية ويسمى أيضاً بالعصر الموكينى، والواقع أن الآثار الحضارية فى هذا العصر كثيرة جداً ومعظمها من البلوبونيز من موكيناى (Mykene) وتيرونز (Tiryns) وبيلوس (Pylos) إلى الجنوب الغربى فى مسينيا على الشاطئ، بل إن الآثار التى ترجع إلى ذلك العصر انتشرت بأعداد كبيرة فى كل منطقة شرقى البحر المتوسط بما فيها مصر وفينيقيا.

أهم آثار هذه الحضارة يتمثل فى بقايا القصور والقلاع والمقابر الضخمة وعديد من الأحجار الكريمة وكثير من المصنوعات اليدوية الفنية وضمنها أدوات مستوردة من بلاد الشرق القديم.

ومما يميز هذا العصر التطور في طرق الدفن، فخلال الألفين الثالث والثانى قبل الميلاد انتشر استعمال الأنواع الآتية من المقابر:

١ ـ حفر بسيطة فى الأرض.

٢ ـ توابيت حجرية.

٣ ـ آبار محفورة أى حفر عميقة في الصخر.

٤ ـ غرف مبنية.

٥ ـ المقابر ذات القباب.

١ ـ أما المقابر التى على شكل الحفر فكانت عادةً تحفر فى الأرض الصخرية بشكل بيضاوى أو مربع، وقد إنتشر هذا النوع من المقابر فى العصر الهللادى المتأخر.

٢ ـ وفى نفس العصر تقريباً انتشر بناء المقابر التى على شكل الصندوق الحجرى أو التابوت، وهى ذات قرابين فقيرة، مما يدل على أن هذين النوعين من المقابر (١، ٢) كانا مخصصين لعامة الناس.

٣ ـ والمقابر المحفورة كانت على عمق يصل أحياناً إلى ٤ أمتار فى باطن الصخر، وضمن القرابين التى عثر عليها داخل هذه المقابر مصنوعات ذهبية كثيرة ومصنوعات برونزية وفضية، بالإضافة إلى بيض النعام وغيرها من المنتجات المستوردة، وتدل الأعمال الفنية التى

عثر عليها داخل هذا النوع من المقابر المحفورة على وجود تأثيرات للفن الكريتى وهذه المقابر كانت مخصصة للحكام.

٤ ـ والنوع الرابع من المقابر كانت تحاكى الغرف التى بنيت داخل تل مرتفع، حيث يؤدى مدخل المقبرة إلى ممر يوصل بدوره للغرف، فقد استخدمت كمقابر لكل أفراد الأسرة أى مقابر أسرية وكانت معظم قرابينها عبارة عن أسلحة وأدوات للزينة، وهذا النوع من المقابر انتشر ليس فقط فى مدينة كوكيناى وإنما فى جميع أنحاء الحضارة الموكينية.

٥ ـ والنوع الخامس والأخير من أشكال المقابر هو المقابر ذات القباب التى تنتمى للعصر الهللادى المتأخر، وهى نوع كبير متطور مبنى من الحجر (طول القطر ١٤م، والارتفاع ١٤م) فقد كان مخصصاً للملوك وعثر على تسع مقابر منها فى منطقة موكيناى وحدها.

مدينة موكيناى (Mykene):

وتقع مدينة موكيناى فى منتصف المسافة ما بين مدينتى كورنثة (Korinth) وأرجوس (Argos) فى منطقة البلوبونيز، وكان المرتفع التى أقيمت عليه المدينة مأهولاً بالسكان منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد.

وفى العصر الهللادى المتوسط بنى أهلها سوراً حول المدينة بغرض حمايتها من الهجمات، وفى الجانب الغربى من المرتفع تقع جبانة

المدينة حيث عثر على كثير من المقابر المحفورة على هيئة آبار عميقة، وفى هذه الفترة التى انتشر فيها هذا النوع من الدفنات عاصر المجتمع فى موكيناى نهضة ملموسة كما يدل على ذلك أنواع القرابين التى عثر عليها فى المقابر، وذلك مهد لسرعة الدخول فى الفترة الهلادية المتأخرة، مثل وفرة المصنوعات البرونزية وكثرة الأحجار الكريمة، ويتبيّن من ذلك أن الصناعات اليدوية انفصلت واستقلت عن الزراعة، وأن الصانع اكتسب مهارات كثيرة، وتشير الأدوات المستوردة التى عثر عليها فى المقابر إلى قيام علاقات تجارية خارجية.

وفى مطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد قامت فى موكيناى أسرة حاكمة وهى صاحبة المقابر ذات القباب التى تحدثنا عنها، واستمرت فى الحكم حتى حوالى ١٣٠٠ قبل الميلاد، وخلال هذه الفترة ظهر جلياً أثر الفن الكريتى، فكما اتضح من قراءة النصوص التى تسمى لينيار-ب (Linearschrift-B) استطاع الآخيون اكتساح كنوسوس عاصمة كريت، وفى هذه المرحلة زادت الصلات ما بين موكيناى وغيرها من البلاد الخارجية، ففى مدينة تل العمارنة فى مصر الوسطى عثر على ١٩ إناء من موكيناى استوردت خصيصاً لفرعون مصر، وتحوى أجود أنواع الخمور. وبنيت إضافات معمارية لتقوية دفاعات مدينة موكيناى وضمنها البوابة الشهيرة ذات الأسدين، وعلى قمة التل بنى قصر جديد يشتمل على قاعة كبيرة وقاعة للعرش ومقصورة للعبادة، وزينت جدران القصر برسوم الفرسك ذى القيمة الفنية العالية، وأخذ استعمال

الزهور الكريتية والخطوط المستقيمة يفتح المجال للزخارف الأخرى، وفى ذلك الزمن شقت شبكة طرق تربط بينها الكبارى مما يوضح أن تلك الطرق بنيت على نمط واحد، وأن فى قيام تلك الشبكة من الطرق ما يؤكد أن موكيناى كانت تمثل عاصمة لدولة مركزية موحدة.

وانتشرت أنواع الفخار الموكينى بشكل واسع فى المنطقة بل وفى خارج بلاد اليونان نفسها بدليل العثور على أنواع منها فى جزر البحر الإيجى، وفى الجزء الجنوبى من الأناضول، وهناك على شاطئ آسيا الصغرى كشف عن القبور المميزة للحضارة الموكينية، وفى الواقع أن الحضارة الموكينية كانت قد بلغت ذروتها فى ذلك الحين.

وفى منتصف العصر الهللادى المتأخر بدأت موكيناى فى التدهور والضعف عندما تعرض سكانها لخطر الهجمات من الخارج، ففى الجزء الشمالى الشرقى من المدينة شرع أهلها فى بناء سد لتجميع مياه نهر بريسيا (Perseia) استعداداً للطوارئ، وفى نفس الوقت تقريباً بنيت التحصينات من حول مدينة تيرونس (Tiryns)، وفى القرن الثالث عشر قبل الميلاد انقطعت العلاقات التجارية مع مصر.

وإذا اعتمدنا على الروايات الأدبية التى وردت فى أقوال المؤرخين فإن حرب الآخيين ضد طروادة (Troja) والتى قادها أجاممنون (Agamemnon) ملك موكيناى ربما قامت فى بداية القرن الثانى عشر قبل الميلاد من حوالى ١١٩٤ إلى حوالى ١١٨٤ قبل الميلاد، وأكدت

الأبحاث الأثرية أن الآخيين اتصلوا بالشاطئ الشمالى الغربى لآسيا الصغرى، وأن طروادة التى تقع فى هذا الجزء من القارة الآسيوية قد سقطت، والظاهر أن الإلياذة (Ilias) تحكى فى صورة شعرية حرباً حقيقية وقعت بين الآخيين وبين الطرواديين.

مواطن الحضارة الموكينية:

فى كل من تيرونز وبيلوس (Pylos) وطيبة (Theben) ومواقع أخرى كشفت الحفائر عن مبانى لها نفس الطابع الموكينى، فالقصر الذى كشفت عنه الحفائر فى تيرونز (Tiryns) ويبعد حوالى ١٥ كم عن موكيناى وقد بنى على ربوة عالية، وأحيط بسور عالٍ يشبه قصر موكيناى فى كل الوجوه وخاصةً فى تصميم القصر من الداخل، والجدران المغطاة برسوم الفرسك.

أما قصر بيلوس (Pylos) فى ميسينيا (Messenia) فيرجع إلى عصر متأخر نسبياً، وعثر أيضاً على مقبرة من النوع ذى القباب فى بيلوس (Pylos)، وفى حفائر ذلك العصر اكتشفت وثائق مكتوبة بالخط لنيار شرفت ـ ب (Linearschrift - B) تتناول موضوعات اقتصادية، وتبين أيضاً أن القصر قد دمره الحريق فى بداية القرن الثانى عشر قبل الميلاد، وفى لاكونيا (Lakonia) فى الجنوب الشرقى للبلوبونيز قابلتنا آثار للحضارة الموكينية، وكشف العلماء عن مراكز حضارية فى مدينة طيبة (Theben) وفى أثينا (Athens) وفى مواقع أخرى كثيرة، وكانت

القصور بمبانيها الضخمة تمثل جزراً صغيرة فى بحر من المراكز الحضارية الكثيرة المنتشرة، وقد عاش سكان تلك المراكز الحضارية فى مستوى حضارى لا يختلف كثيراً عما كان سائداً فى العصر السابق.

دراسة فى حضارة العصر الهللادى المتأخر:

عاصر استعمال البرونز فى العصر الموكينى فترة ازدهار، فصنع منه كثير من الأدوات والأسلحة والأوانى وأدوات الزينة، ففي منطقة موكيناى عثر على عدد من الأسلحة كالفؤوس البرونزية والسكاكين وخواتم وأكر ومزالج للأبواب وغيرها وكلها من البرونز، أما المعادن الأخرى فكان استعمالها أقل حيث صنعت أدوات المطبخ من القصدير.

وإلى الشمال من موكيناى عثر على بقايا منجم نحاس قديم ودعى ذلك بعض العلماء إلى الظن بأن النحاس كان هو المصدر الرئيسى لثروة موكيناى، كما استعمل كل من معدنى الذهب والفضة بكثرة فى صناعة أدوات الزينة.

وبعكس الفكرة التى كانت سائدة لفترة طويلة فإن الحديد عرف فى العصر الموكينى ولكنه كان يستعمل فقط لصناعة أدوات الزينة لندرته، وفى الحفريات فى الطبقات التى ترجع إلى ذلك العصر عثر على عدد من الخواتم وأدوات الزينة الحديدية.

ولا جدال فى أن الزراعة كانت أهم دعائم الاقتصاد وما يتصل بها من تربية الحيوانات، وفى مدينة موكيناى كشفت الحفائر عن مخزن

للخبوب، وغير بعيد عن مدينة موكيناى عثر العلماء على منزلين أطلقوا على أحدهما اسم منزل تاجر زيت الزيتون وعلى المنزل الآخر منزل تاجر الخمور، مما يقوم دليلاً على أهمية الزيت والنبيذ بالنسبة للاقتصاد فى ذلك الحين، وفى منزل تاجر الزيوت هذا كشف عن ٣٩ لوحة صغيرة عليها كتابة بالخط لينيار – ب (Linearschrift-B) وهى صورة متطورة قليلاً من الخط الهيروغليفى الكريتى، وعليها تسجيل للواردات والصادرات من زيت الزيتون، ومن الحيوانات المستأنسة فى ذلك العهد الأبقار والأغنام والخنازير، وفى إحدى المقابر الصخرية عثر على رسم لحصان، وكان يستعمل حتى ذلك الحين فى جر عربات القتال فقط، بينما استعملت الحمير والبغال فى حمل الأثقال ونقلها.

وتطورت الأعمال اليدوية كثيراً، ذلك أن بناء القصور والحصون والمقابر تطلب تطوير أدوات الصناعات المختلفة، فعامل البناء الموكينى استعمل أنواعاً مختلفة من الأزاميل والمثاقب والمطارق والمناشير واستعمل النجار المناشير، ولا جدال فى أن المهندس والبناء وعامل قطع الأحجار قد اكتسبوا جميعاً مهارات جديدة ومتعددة، كما هو ظاهر من إقامة المبانى الحجرية الضخمة التى استعملت فى بنائها كتل كبيرة من الأحجار، قطعت وجلبت من محاجر بعيدة، وكانت تقطع فى بداية الأمر بواسطة المطارق الكبيرة، ثم استعملت المناشير البرونزية فى إتمام ذلك العمل.

وتختلف الأوانى الفخارية من العصر الهلادى المتأخر فيما بينها كثيراً من حيث الحجم ما بين الأقداح الصغيرة والقدور الضخمة،

وأصبح الطين الذى يصنع منه الفخار أكثر جودة، وأضحت الأوانى رقيقة الصنع، صقلت سطوحها جيداً وحرقت فى أفران درجة حرارتها عالية، كل ذلك يوضح أن الحرف اليدوية أخذت تنفصل تدريجياً عن مهنة الزراعة، وأصبحت تمثل فرعاً هاماً قائماً بذاته، وكان العدد الأكبر من العمال اليدويين يعملون فى بلاط الحكام المحليين.

وأما فيما يتعلق بالتجارة الخارجية التى تطورت كثيراً فقد ثبت أن الإغريق فى العصر الموكينى كانوا يستوردون النحاس أيضاً.

* * *

عوامل سقوط الحضارة الموكينية في العصر الهللادى المتأخر

فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد كثرت الإشارات التى تدل على تدهور الحضارة الموكينية حيث انقطعت الصلات بالخارج، واقتصرت أعمال البناء على التحصينات الدفاعية سواء فى موكيناى أو فى تيرونس وفى أثينا أيضاً فلقد أثبتت الحفائر أن التحصينات الضخمة أقيمت هناك حول الأكروبوليس خلال القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد وهذا يشير إلى تعرض مناطق الحضارة الموكينية فى بلاد اليونان إلى خطر خارجى عام، والذى تمثل فى هجوم قبائل الدوريين الذين كانوا يؤلفون مع اليونيين والآخيين والإيوليين المجموعات الرئيسية التى تألفت منها القبائل الإغريقية القديمة، وطبقاً لأقوال المؤرخين فإن تحرك الدوريين بدأ بعد ثمانين عاماً من سقوط طروادة، أى فى نهاية القرن الثانى عشر قبل الميلاد، كما أكدت الأبحاث الأثرية

أن سقوط موكيناى حدث فى الثلث الأخير من القرن الثانى عشر قبل الميلاد.

وليس هناك أدنى شك فى أن الحضارة الموكينية قد سقطت تحت وطأة هجمات القبائل الدورية، وبعد أن أصابها الفساد، ويرجع معظم المؤرخين سقوط الحضارة الموكينية إلى استعمال القبائل الدورية المهاجمة للأسلحة الحديدية، ولكن الواقع أن الكتابات التى عثر عليها فى بيلوس (Pylos) (بالخط لينيار – ب) تبين عوامل كثيرة لفساد المجتمع الموكينى.

* * *

دراسة فى أحوال الإغريق
فى الفترة ما بين القرن الحادى عشر والقرن التاسع قبل الميلاد
(٣٠٠ عاماً) العصر الهوميرى

فى القرن الأخير للألف الثانى قبل الميلاد عاصرت منطقة شرق البحر المتوسط هجرات كبرى، سقطت بسببها الدولة الحيثية فى آسيا الصغرى، واجتاحت الهجرات سوريا وفينيقيا ووصلت إلى مصر نفسها، وكانت الهجرة الدورية واحدة من تلك الهجرات الكبرى، ولكنها كانت بالمقارنة بغيرها محدودة بالجزء الجنوبى لشبه جزيرة البلقان، وكان لها أثر كبير بالنسبة لتاريخ بلاد الإغريق، وخلال الثلاثمائة عاماً التالية عزلت بلاد الإغريق تماماً عن بلاد الشرق الأدنى القديم ولم تعد تشيد فيها العمائر الضخمة مثلما كان الحال عليه فى العصر السابق، وتمكن الغزاة الدوريون من القضاء على النظام الاجتماعى الذى كان سائداً فى بلاد الإغريق من قبل، ولأن الدوريين كانوا متخلفين فى الحضارة

نسبياً عن الشعب المغلوب فإنهم نقلوا عنه الكثير من عناصر ونظم حضارته.

وكانت المصادر الوحيدة عن هذه المرحلة من تاريخ بلاد الإغريق حتى أوائل القرن العشرين تتمثل فى الرواية الإغريقية القديمة، وفى بعض الإشارات عند المؤرخين الذين عاشوا بعد ذلك بزمن طويل، ولكن الموقف تغير فى السنين الأخيرة حيث أحدثت نتائج الحفر الأثرى ثورة فى تشكيل معرفتنا بتاريخ تطور جميع مناطق البحر الإيجى.

وإلى جانب نتائج علم الآثار هناك مصدر هام يتمثل فى الأشعار الهوميرية وخاصة الإلياذة (Ilias) والأوديسة (Odysse) اللتين تناولتا فى بعض محتواهما حرب الآخيين ضد طروادة (Troja) التى نشبت بسبب هروب هيلينا (Helene) ملكة اسبرطة مع الأمير باريس (Paris) ابن ملك طروادة.

نبذة عن الإلياذة ـ والأوديسة:

وتتناول الإلياذة بالشعر المرحلة الأخيرة من أحداث الحرب التى استمرت عشر سنوات بين الإغريق (الآخيين) وبين أهل طروادة، عندما اختلف أخيل (Achilles) أحد قادة الحملة الإغريقية التى تقوم بمحاصرة طروادة مع أجاممنون (Agamemnon) قائد الحملة الإغريقية بسبب تقسيم الغنائم، وانسحب من القتال عائداً إلى الوطن، وبعد أن واجه الإغريق المحاصرون لطروادة ضربات موجعة من

أعدائهم بعث إليهم أخيل صديقه الحميم بتروكلوس (Batrokolos) ليقاتل بجانب أجاممنون، وعندما سقط صديقه فى القتال ضد هكتور البطل الطروادى (Hektor) وهو ابن بريامــوس (Priamos) مــلك طروادة اضطر أخيل للعودة بنفسه إلى القتال الذى انتهى بتدمير طروادة، وتختتم الإلياذة بوصف عملية دفن هيكتور البطل الذى سقط صريعاً فى مبارزة ضد آخيل.

أما الأوديســة فتتناول بالشعر وصف عودة ملك جزيرة إتاكا (Ithaka) الإغريقية المدعو أوديسيوس (Odysseus) بعد سقوط طروادة حيث ضل طريقه فى البحر، وواجه عقبات أسطورية، قبل أن يعود إلى وطنه، وهناك يتمكن من ضرب الطامعين فى زوجته المخلصة بنيلوب (Penelope) بمساعدة ابنه تليماخ (Telemach)، فالملحمتان الشعريتان ربط بينهما الموضوع وكذا بعض الشخصيات، ولكن ينبغى أن نوضح أن الإلياذة لم تتناول بالسرد أحداث الحرب الطروادية كلها من أولها وحتى سقوط طروادة، وأن الأوديسة لا تعد تكملة مباشرة للإلياذة، وتعتبر أشعار هومير بالنسبة للمؤرخين معيناً خصباً للمعلومات عن الحياة والتقاليد الإغريقية فى النصف الثانى للألف الثانى وفى بداية الألف الأول قبل الميلاد.

ولقد اختلف المؤرخون منذ القدم بالنسبة لفترة حياة هوميروس وفيما يتعلق بالفترة الزمنية التى عاش فيها، وكذلك بالنسبة لمقر مولده، إذ تنافست على ذلك سبع مدن إغريقية كل واحدة منها تدعى أن هومير

ولد فيها، واختلفت الرواية أيضاً حول العصر الذى عاش فيه هومير ما بين القرن الحادى عشر وبداية القرن الثامن قبل الميلاد، ولكن معظم المؤرخين يتفقون على أن هومير ولد فى إحدى مدن الشاطئ الإيجى لآسيا الصغرى حوالى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد.

وخلال المائة وخمسين سنة الأخيرة خضعت الإلياذة والأوديسة لآلاف الدراسات المتخصصة التى أثبتت أن الإلياذة والأوديسة اشتملتا على حقائق وصور ترجع إلى عصور مختلفة، كما اتضح من الدراسات أيضاً أن المرحلة الزمنية التى تناولتها أشعار كل من الإلياذة والأوديسة امتدتا من العصر الموكينى وحتى القرن التاسع قبل الميلاد على أقل تقدير، ففترة حكم الملك الموكينى أجاممنون والحرب الطروادية تعود إلى القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد أى آخر العصر الهلادى المتأخر.

وتدل الإشارة التى وردت فى الأشعار عن استخدام الحديد والظروف المعيشية للقبائل الهلينية إلى أنها عاصرت الألف الأول قبل الميلاد، وتبين أيضاً أن بعض المغنيين (أو المنشدين) حتى أواسط القرن السادس قبل الميلاد قد أضافوا الكثير إلى النصوص الأصلية رغبة منهم فى زيادة متعة السامعين، ولا شك أن الملاحم الطروادية التى تحولت إلى أساطير شعبية طوال أجيال متعاقبة بواسطة الرواة هى العنصر الأساسى للأشعار الهوميرية وربما تكون قد دونت فى نهاية القرن التاسع أو بداية القرن الثامن قبل الميلاد، واتضح من الدراسات أيضاً أن الأوديسة

وضعت بعد الإلياذة بعشرات السنين، وهكذا ساعدت الأشعار الهوميرية، بالإضافة إلى بعض إشارات للمؤرخين الإغريق ورجال الآثار فى تحديد أهم مراحل التطور فى بلاد الإغريق فى ذلك الحين.

أما نتائج علم الآثار فيما يتعلق بهذه الفترة التى امتدت حوالى ثلاثمائة عاماً فإن أهم المناطق الأثرية التى كشفت عنها الحفائر كانت تتمثل فى الجبانات سواء فى جزيرة سلاميس (Salamis) أو فى أحد أحياء مدينة أثينا فى كورنثة، ذلك أن الملفات الخاصة بعصر استخدام الحديد الباكر فى بلاد الإغريق تختلف كثيراً عن مخلفات العصر الموكينى، فآثار العصر الذى يمتد ما بين الألف الثانى وبداية الألف الأول قبل الميلاد تتمثل فى مخلفات لم تكن تضم أفراداً من الطبقة الأرستقراطية وإنما أفراداً عاديين.

ومع أن ما عثر عليه من آثار داخل تلك المقابر لا يقل فى العدد عما عثر عليه فى مقابر العصر السابق، إلا أنها أقل من حيث جودة الصنع وندرة الأدوات المستوردة.

وكما هو معروف لرجال الآثار من واقع المخلفات الأثرية فإن أدوات الزينة المصنوعة من الحديد خلال فترة الانتقال ما بين القرن الثانى عشر والقرن الحادى عشر قبل الميلاد قد ازدادت فى الانتشار.

وأصبح فخار العصر الهلادى المتأخر ذا شكل بسيط نسبياً، وأخذ الشكل المميز للقدور فى الاختفاء تدريجياً، وفى القرن الحادى عشر أو

العاشر قبل الميلاد ظهرت فى نفس المنطقة أسلحة حديدية وفى ذلك العصر ظهرت عادة حرق الموتى وازدادت إلى جانب عمليات الدفن التقليدية.

وفى خلال الفترة من ٩٥٠ حتى ٨٥٠ قبل الميلاد استمر استعمال الأسلحة الحديدية، وفى النصف الثانى من القرن التاسع قبل الميلاد توسع القوم فى استعمال الحديد، وظهر الإتقان فى فن صناعة الفخار وأبطلت عادة حرق الموتى.

* * *

مميزات الحضارة الهيلينية
فى العصر الهوميرى (الاستيطان)
نهاية الألف الثانى وبداية الألف قبل الميلاد

التغيرات البشرية بين سكان المنطقة الإيجية نتيجة الهجرة الدورية

فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد استقرت الهجرة الدورية بكل ما ترتب عليها فى المنطقة الإيجية، وكان من نتائجها تغير التركيب السكانى لمناطق كثيرة من البحر الإيجى تغيراً كبيراً فقد كانت تلك آخر هجرة كبيرة تعرضت لها المنطقة فى الزمن القديم، إذ لم يحدث فى الألف وخمسمائة سنة التالية تغيرات كبيرة فى التركيب السكانى لمناطق بلاد الإغريق المختلفة.

وبسبب الهجرة الدورية سقطت البلوبونيز فى أيدى هؤلاء الغزاة ماعدا المنطقة الجبلية فى وسط شبه الجزيرة المعروفة باسم أركاديا

(Arkadia) التى احتفظ أهلها باستقلالهم، أما المراكز الرئيسية التى استقر فيها الدوريون فى شبه الجزيرة فكانت لاكونيا (Lakonia) وارجـــوليس (Argolis) ، وفى الشمال الغربى وفى الشمال فى إليس (Elis) وغيرها.

وفى نفس العصر تقريباً سيطر الدوريون على كل المنطقة الجنوبية للبحر الإيجى، بما فى ذلك الجزء الأكبر من كريت وجزر كثيرة تشمل كـوثيـرا (Kythera) ورودس وكـنـودس (Knodos) وأسـسـوا بعض المستعمرات فى المنطقة الجنوبية لآسيا الصغرى. ومنذ ذلك الوقت تقريباً سار تطور كريت مع تطور باقى مناطق البحر الإيجى، وفقدت كريت دورها القيادى فى المنطقة، ولم تعد تلعب فى تاريخ الإغريق بعد الآن دوراً هاماً، وسكنها خليط متباين السكان، مما دعى هومير للقول أن الناس فى الجزيرة يتحدثون لغات شتى.

وفى مواجهة غزو القبائل الدورية هرب اليونيون (Ioniens) وبعض الآخـيين نحـو أتيكا (Attika) ، وفى الفترة التالية كان سكان أتيكا يتباهون بأنهم دون غيرهم من الهيلينيين هم السكان الأصليون للبلاد، وأنهم وحدهم فقط هم الذين صدوا الغزوات الدورية ولقد بدأت أتيكا فيما بعد الهجرات الهيلينية إلى خارج بلاد الإغريق لاستعمار المنطقة الإيجية الوسطى بما فى ذلك ساحل آسيا الصغرى المقابل لها، الذى حمل بعد ذلك اسم إيونيا وهناك قامت مراكز حضارية هامة ساهمت بدور كبير فى تطور الحضارة الإغريقية فى عصرها الباكر، وعلى

سبيل المثال ميلوس وكولوفون وأفسوس ((Kolophon, Ephesos) وعلى جزيرة سامس (Samos) وجزيرة خيوس (Chios) ، وفى القرن العاشر قبل الميلاد بدأ استيطان الجزء الشمالى الغربى لآسيا الصغرى والجزر المجاورة له بواسطة الإيوليين الإغريق، ومنذ ذلك الحين حمل هذا الجزء من المنطقة فى الإيجية اسم إيوليس (Aeolis)، وعلى شاطئ آسيا الصغرى عثر رجال الآثار على أنواع من الفخار الموكينى، ولكنهم لم يعثروا على آثار من العصر الذى يبدأ بنهاية القرن الحادى عشر حتى بداية القرن العاشر، مما يشير إلى تلك الفترة من تاريخ الاستعمار للمنطقة مازالت تمثل ثغرة فى معلوماتنا التاريخية.

ولا جدال فى أن سكان المنطقة فى تلك الفترة (نهاية الألف الثانى وبداية الألف الأول) كانوا فى مستوى حضارى أقل من سكان المنطقة فى المرحلة الموكينية السابقة، فلم تعد تبنى القصور الفخمة ولا المقابر والحصون الضخمة بما كانت تحوى من بذخ وملامح فنية، كما اختفت المصادر المكتوبة، وانقطعت الصلات مع العالم الخارجى، وكانت كلها مظاهر للمجتمع الموكينى، والواقع أن كل اهتمام الغزاة الدوريين انصب على الأرض أكثر من اهتمامهم بإخضاع السكان واستعبادهم.

شيوع استعمال معدن الحديد:

عرف الهلينيون الحديد منذ العصر الهلادى المتأخر، إلا أنه كان يستعمل فقط فى صناعة بعض أدوات الزينة، أما فى المقابر التى كشف

عنها فى جزيرة سلاميس من القرين الحادى عشر قبل الميلاد فقد عثر فيها على أدوات من الحديد أكثر من غيرها، وفى أتيكا (Attika) عثر داخل مقبرة من القرن الحادى عشر على أقدم سيف من الحديد ظهرعلى الأرض الإغريقية، وفى القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد انتشرت عادة تزويد الموتى بالسيوف المصنوعة من الحديد، كما ظهرت فى الحفائر من نفس العصر رءوس حراب من الحديد أيضاً.

وفى مقبرة بجزيزة كريت ترجع إلى العصر ما بين عامى ١٢٠٠ - ٩٥٠ قبل الميلاد عثر على بلطة حديدية وعلى بعض الأسلحة الحديدية الأخرى، وفى أثينا عثر على أدوات حديدية فى مقبرة من النصف الثانى من القرن العاشر، وتتألف من سيف طويل ورأسين للحراب وسكينين وبلطة عريضة وغيرها، ومن القرن التاسع قبل الميلاد كثرت الأدوات الحديدية التى كشف عنها فى المقابر.

ومعنى ذلك أن الحديد كان مستعملاً على نطاق واسع فى فترة الاستعمار الهوميرية، ولم يعد استعماله قاصراً على الزينة، أو لصناعة الأسلحة فحسب وإنما تخطاه إلى صناعة الأدوات الأخرى. وعندما بدأ المستعمرون الإغريق الأوائل الرحيل من بلاد الإغريق الأصلية إلى إيونيا كانوا قد توصلوا إلى صناعة الحديد من قبل، ولكن الأشعار الهوميرية تحدثت عن البرونز بوصفه أهم المعادن وذلك لأنها كانت تعطى صورة لعصور سابقة.

الزراعة :

من واقع ما ذكرته الملاحم يمكن أن نتصور أن السكان عاشوا فى تلك المرحلة الزمنية معتمدين على الزراعة وعلى تربية الحيوان مثلما كان الحال فى العصر الموكينى السابق، وفى الإلياذة والأوديسة إشارات مختلفة عن أهمية تربية الحيوان، وكان معظم العبيد يعملون فى تربية الحيوان، وقد وردت إشارات كثيرة عن رعاة البقر والخنازير والأغنام، كما أن ثروة أوديسيوس كانت تحسب بعدد ما يمتلكه من حيوان، ومع أن ما ذكر فى الأشعار عن الزراعة أقل بكثير عما قيل عن تربية الحيوان، إلا أن ذلك لا يعنى أن الزراعة كانت أقل شأنا، وفى موقع من الملاحم المذكورة ورد أن اثنتا عشرة جارية كن يقمن بطحن الحبوب فى مزارع أوديسيوس، كما ذكرت الأوديسة أداة جرش الحبوب ثلاث مرات، بينما شبهت الإلياذة أحجاراً ضخمة بأحجار الطاحون، كما ذكرت المحراث فى الإلياذة أكثر من مرة.

الصناعات اليدوية :

وكان التطور فى الصناعات اليدوية فى هذا العصر أقل بكثير من التطور فى الزراعة أو فى تربية الحيوان، ومن خلال نتائج الحفريات وكذا دراسة الملاحم تأكد استقلال الصناعة عن الزراعة، ففى الأشعار جاء ذكر الحداد والصياد وصانعى الفخار والنجارين وغيريهم من الصناع اليدويين، وتدل محتويات قبر الحداد الذى عثر عليه فى أثينا على أن صناعة الحديد قد خطت خطوات واسعة خلال القرن العاشر،

وكان الحداد يستعمل المطارق والكير (المنفاخ) والموازين وغيرها من الأدوات اللازمة لمسك الحديد المحمى ونقله، أما بالنسبة للصناعات اليدوية الأخرى فقد استعملت فى صناعتها عجلة الفخار والمثقاب والبلط وغيرها، كما ذكرت الملاحم الهوميرية كل الأدوات المستعملة فى الصناعات اليدوية التى انتشرت فى العصر الموكينى، والظاهر أن الصناع كان ينظر إليهم نظرة احترام، وكانوا يعدون ضمن الأحرار وكان الشاعر إذا ما ذكر قطعة فنية يشير دائماً إلى صانعها، حتى أن الملوك أنفسهم كانوا يمتدحون دقة الصناعات اليدوية.

التجارة:

لم تتطور التجارة تطوراً يذكر فى هذا العصر، وذكرت الملاحم أن التجار كان معظمهم من الفينيقيين أو التابيز (Tapiz) ويحتمل أن التابيز كانوا يعيشون حول برزخ كورنثة، وذكر أن ملك جزيرة لمنوس (Lemnos) الهيلينى كان يمارس التجارة. وكان ينظر إلى التجار نظرة لا تنم كثيراً على الاحترام، فعندما ظن بعضهم أن أوديسيوس تاجر أعتبر أوديسيوس أنه أهين، ولم يكن عند هومير اصطلاح خاص يدل على التجارة، ولم تظهر فى الملاحم أية إشارة إلى الأسواق على الإطلاق، وباستثناء آثار العصر الموكينى فإن أقدم مخزن للمنتجات الفينيقية فى بلاد الإغريق عثر عليه فى جزيرة أجينا (Agina) الذى يعتقد أنه يرجع إلى النصف الثانى من القرن الثامن قبل الميلاد، وكان البحارة الفينيقيون قد بدءوا يصلون إلى شواطئ البحر الإيجى منذ نهاية

القرن التاسع قبل الميلاد؛ وعن طريقهم نقل الإغريق طريقين فى غاية الأهمية وهما الأبجدية وتطور صناعة السفن، فبجانب سفن الشحن المستديرة بنى الفينيقيون مراكب قتال ضيقة وطويلة وارتفاع جوانبها بسيط وتتسع لعدد ٢٥ مجدفا، ومسلحة بحرية ضخمة فى مقدمتها بارتفاع مستوى الماء، وتقوم بعمل ثغرة فى سفن الأعداء وإغراقها، وهذه المراكب السريعة استعملت منذ نهاية القرن التاسع قبل الميلاد فى بلاد الإغريق أيضاً، ومثل هذه المراكب صورت على أوانى تؤرخ ببداية القرن الثامن قبل الميلاد كشف عنها بالقرب من بوابة دبيلون (Dipylon) فى أثينا.

أما فيما يختص ببدء حركة التجارة الداخلية بين مراكز الحضارة الإغريقية المختلفة فلم تكن أقل شأناً من التجارة مع الفينيقيين، ويساعدنا فى تتبع خطوات حركة التجارة فيما بين المدن المختلفة أن فخار هذا العصر على خلاف فخار العصر الموكينى قد أخذت زخارفه الهندسية تتباين فى صنعها، بحيث تميزت كل منطقة بزخارفها الخاصة، مما ساعد على سهولة تتبع حركة التجارة من وإلى مصادرها الأصلية، فمنذ القرن العاشر قبل الميلاد مثلاً يقابلنا فخار أتيكا فى الجزيرة المجاورة أجينا (Agina)، والفخار الكورنثى وصل إلى بيوتيا ودلفى وأرجوليس ثم إلى جزيرة تيرا فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد.

وبعد ما تخطت العلاقات الخارجية والمعاملات التجارية المائتى عام بدأت القبائل الإغريقية فى القرن التاسع قبل الميلاد تتوسع فى تجارتها الخارجية (وفى ذلك اختلاف هام عن العصرين الموكينى والهوميرى) وبدأ التوسع فى التجارة فى المدن الإغريقية المختلفة.

نظرة للظروف الاجتماعية والاقتصادية:

فى بداية الألف الأول قبل الميلاد كان المجتمع الإغريقى قد ابتعد كثيراً عن النظام البدائى الذى كان طابعه التشابه التقريبى فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية بين الأفراد، أما عن التجارة ففى مجملها لم تكن قد تطورت تطوراً كبيراً، ولكن الحروب المتواصلة تسببت فى ظهور فوارق اقتصادية، وتمكنت الطبقات الحاكمة عن طريق الحروب والقرصنة فى البحر من الحصول على الموارد المادية وعلى القوى البشرية فى صورة رقيق، وطبقاً لما ورد فى الملاحم تمكن الأرستقراطيون فقط من امتلاك الرقيق، وامتلكوا فى أيديهم معظم الثروة الحيوانية أيضاً.

أما الأرض الزراعية فاستمرت ملكيتها عامة مثلما كان الحال عليه من قبل، إلا أن الملكية الخاصة بدأت تزداد عدداً منذ ذلك الحين، وفيما يتعلق بالمجتمع الإغريقى فى ذلك العصر يمكن الحديث عن ظهور مجموعات حضارية مختلفة (Social Groups) التى تطورت تدريجياً إلى ظهور الطبقات.

ويمكن اعتبار الباسيلاى (Basilei) واحدة من هذه المجموعات، وهذا الاصطلاح لا يعنى فقط أمراء القبائل أو مجموعة الأرستقراطيين كما ورد فى الملاحم، فقد ذكرت الأوديسة أنه كان يوجد اثنا عشر من هؤلاء الأمراء الباسيلاى (Basilei) فى مدينة فاكن (Phaaken) يتقدمهم حاملو الشارات، وذكرت أيضاً أن ملك مدينة فاكن (Phaaken) المدعو الكينوس (Alkinos) استدعى االباسيلاى (Basilei) للاستماع إلى قصة مغامرة أوديسيوس، وكان الأساس الاقتصادى لقوى الباسيلاى يتمثل فى امتلاك أجود الأراضى الزراعية التى اقتطعت من أراضى القبيلة إلى جانب أعداد هائلة من قطعان الماشية وغيرها من الحيوانات، بالإضافة إلى امتلاك عشرات العبيد الذين استرقوا عن طريق الحرب، وكان الاصطلاح اللغوى الذى أطلق على أراضى الأرستقراطيين المستقطعة أصلاً من أراضى القبيلة وهو (Temenoi) مشتق من فعل معناه يقطع، وهكذا أصبح الأرستقراطيون فى خلال القرون التالية أكبر ملاك للأراضى والعبيد.

وامتلكت الغالبية العظمى من المزارعين الأحرار قطعاً صغيرة من الأراضى الزراعية (Eleroi) ، وعدد قليل من الماشية، ولم تذكر الملاحم إلا القليل عن مستوى صغار الزراع الأحرار، ولكن الحديث تناول من يمتلكون منهم الكثير من قطع الأراضى الزراعية أو القليل من تلك القطع (Eleroi) ، ويعنى ذلك وجود فوارق اقتصادية واضحة بين هؤلاء المزراعين.

وكان للعمال والمغنيين والأدباء والعرافين نفس المركز الاجتماعى الذى كان للزراع الأحرار.

وكانت هناك مجموعة من الأحرار المحرومين من كل الحقوق هم الأجراء والشحاذين، وفيما عدا ذلك كان الرقيق يؤلف طبقة هامة فى المجتمع الإغريقى فى ذلك الحين، وجاء ذكره كثيراً فى كل من الإلياذة والأوديسة، إذ كان أوديسيوس يمتلك عشرات العبيد وخمسين جارية، وكانت ثروة الشخص تقدر أيضاً بعدد من يمتلكهم من الرقيق.

وبخلاف رقيق العصر الموكينى الذى ذكرت نصوص بيلوس أنهم خصصوا للخدمة فى المعابد كمساعدين للعمال اليدويين، فإن رقيق العصر الهوميرى لم يخصصوا للعمل فى الزراعة ولا فى الأعمال اليدوية، إذ عمل الرجال من الرقيق كرعاة أو فى الخدمة المنزلية كقطع الأخشاب ولرعاية الخيل أو مجدفين فى المراكب، وكان الجوارى يعملن فى الغزل والنسيج والطحن وتنظيف المنازل وإعداد الطعام.

* * *

الحضارة الهيلينية فى نهاية القرن التاسع وبداية القرن الثامن قبل الميلاد

وكما سبق أن ذكرنا كان للقرن الأول من الألف الأول تأثير كبير على مستقبل التطور فى كل المنطقة الشرقية لحوض البحر المتوسط، وفى تلك الفترة أمكن استخراج معدن الحديد، مما أتاح استعماله فى صناعة المحراث والبلطة لزيادة الرقعة الزراعية باستصلاح الأراضى الجديدة ذات التربة الصلبة نسبياً وفى قطع الأشجار واكتساب أراضى زراعية جديدة من أراضى الغابات، فتطورت الزراعة والصناعات اليدوية، وازداد عدد السكان خلال الثلاثمائة سنة الممتدة من القرن الحادى عشر إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

وفى نهاية القرن التاسع وبداية القرين الثامن قبل الميلاد كان العالم الهيلينى يضم ثلاث مناطق جغرافية:

(أ) ساحل آسيا الصغرى وأطلق عليه اسم إيونيا.

(ب) شبه جزيرة البلوبونيز أو شبه جزيرة المورِدة

(جـ) بلاد الإغريق الوسطى أو البلقان.

وأخذ التطور فى كلاً منها طريقاً مستقلاً يختلف عنه فى المناطق الأخرى، وفى هذين القرنين تم استعمار الشاطئ الغربى لآسيا الصغرى، ونتيجة للظروف الملائمة استطاع السكان الجدد فى مدن كثيرة مثل ميليت (Meletus) وكولوفون (Kolophon) وسميرنا (Smyrna) وغيرها من أن يطوروا حرفتى الزراعة وتربية الحيوان، وفى القرنين التاليين أصبحت منطقة إيونيا فى آسيا الصغرى هى أهم أهداف الهجرة الإغريقية، واستطاع الإغريق هناك بحكم قربهم من مواطن الحضارات الشرقية أن يتقدموا عن غيرهم من الإغريق فى البلقان نفسها، وكما ذكرنا فإن الدوريين كانوا قد استولوا على أخصب بقاع البلوبونيز، ففى كورنثة ازدهرت التجارة والصناعات اليدوية نتيجة موقعها الجغرافى فى الربط بين البلوبونيز ووسط بلاد الإغريق، وظهر الفخار الكورنثى المميز بزخارفه الهندسية فى القرن التاسع قبل الميلاد وفى بلاد الإغريق أكثر فأكثر، وظهرت العلاقات مع شاطئ البحر الأدرياتيكى وقويت صقلية حيث تأسست فيها مستعمرات كورنثية مثل سيراكيوز، وصادفت كورنثة دون غيرها من بلاد وسط الإغريق اهتماماً خاصاً من رجال الآثار، وعلى العكس من فخار العصر الموكينى الذى انتشر فى مناطق كثيرة فإن الفخار الأتيكى بزخارفه الهندسية عثر عليه فى أثينا فقط، وقد تميز بتعدد أشكاله وطرزه وتعطى الرسوم

على القدور الضخمة صورة لحياة الأغنياء فى أثينا، وتصور مناظر لمراكب حربية ومعارك بحرية ومهرجانات الدفن وغيرها.

مستوى الحضارة فى العصر الهوميرى:

لم تكن المعارف فى هذين القرنين قد بلغت درجة من التقدم، وينطبق ذلك على المعلومات الجغرافية، فهومير كان على علم بجغرافية المنطقة الإيجية، كما كان أبطال الملاحم على علم ببعض المعلومات الفلكية التى تعينهم على تحديد الاتجاه فى البحر، وكان إغريق العصر الهوميرى على دراية كبيرة بتاريخهم، فقد ساعدت الرواية المنقولة عن السلف قبل أن تخترع الكتابة على حفظ كثير من صور الماضى حية فى أذهان الإغريق، مثل دولة موكيناى والعصر الذهبى لكريت وغيرها من مواطن العصر البرونزى والحرب الطروادية.

والواقع إن أهم إنتاج للحضارة الإغريقية فى ذلك العصر هو شعر الملاحم وقد سبق أن تحدثنا عنه.

وإذا أردنا دراسة الفنون التشكيلية فى القرون الحادى عشر إلى الثامن قبل الميلاد فإن الزخارف الهندسية للفخار تعتبر بداية طيبة لذلك، وكانت تتألف من خطوط مستقيمة أو متعرجة (زجزاج) أو مثلثات أو مربعات ونادراً ما تكون من دوائر، وقد تألفت أشكال معقدة نتيجة الجمع بين تلك الزخارف.

وفيما يتعلق بالرسوم الطبيعية على الفخار يلاحظ أن الخيول كانت تصور بأرجل طويلة رفيعة ورقبة طويلة، ورسمت الأشخاص بشكل جانبي دائماً والجزء العلوى من جسم الإنسان يتكون من شكل مثلث مقلوب والرأس على شكل دائرة، وإذا ما قارنا ذلك بما سبق من مناظر من العصر الموكيني أو حتى العصر المينوى، فإننا نخرج بالاقتناع أن الطراز الهندسي هنا قد تخلف كثيراً، ولعل أقدم مبنى معمارى من الألف الأول قبل الميلاد أن يكون معبد أرتميس فى اسبرطة الذى أقيم على مايبدو فى نهاية القرن التاسع وبداية القرن الثامن قبل الميلاد وطوله ١٢ متراً وعرضه ٣,٥ متراً وتكونت الجدران من قطع الطوب الغير محروق ماعدا الأساسات، فقد استعمل الحجر فى بعض أجزائها، واستعملت الأعمدة الخشبية فى حمل السقف وغالباً ما كانت المبانى الكبيرة تبنى من الخشب، وتعطى الأشعار الهوميرية وصفا لتلك المبانى الكبيرة.

وتغيرت الملابس فى العصر الهوميرى عن ما كانت عليه فى العصر الموكينى، فكانت النساء ترتدين ملابس طويلة مصنوعة من قطعة واحدة من القماش تسمى بيبلوس (Peplos) وكانت أطرافها تعقد على الكتف أما رداء الرجل فكان عبارة عن قميص من الصوف بلا أكمام يسمى خيتون (Chiton)، وضمن الرسوم الهندسية على الفخار المتأخر نسبياً صور الرجال الأغنياء وهم يرتدون ملابس صوفية محلاة بالزخارف المعقدة.

المعتقدات الدينية :

تشير الأشعار الهوميرية إلى بعض معتقدات الإغريق الدينية وعلى الأخص فى العصر الموكينى، أما عن المعتقدات فى عصر هومير نفسه فتشير إليها معتقداتهم فى العصور التالية.

ففى الأشعار يعتبر الإله زيوس الإله الأكبر باعث الرعد، وأخو بوزيدون إله الحرب وهادس إله العالم السفلى ، وعلى قمة جبل الأولمب (Olymp) سكن زيوس مع زوجته الشرعية هيرا (Hera) وأولادهما: أبوللو إله الشعر والموسيقى، وأرتيميس إلهة الصيد، وآريس (Ares) إلهة الحرب، وأثينا إلهة الحكمة والعمل اليدوى وأفروديت إلهة الحب والجمال، وهفايستو (Hephaistos) إله النار وهيرمس (Hermes) رسول الآلهة وإله التجار والمسافرين وديونيسوس إله البحر.

وقد تخيل الإغريق فى أشعارهم آلهتهم فى صورة البشر تماما، يأكلون ويشربون ويتصارعون مع بعضهم البعض أيضاً، فكان عالم الآلهة عبارة عن انعكاس لحياة الطبقة الأرستقراطية فى العصر الهوميرى، ولكل طائفة معبودها أو معبودتها، ففى أثينا عبدت الآلهة أثينا، وفى أرجوس وساموس عبدت هيرا وهكذا.

ومن خلال الأشعار يتضح كثيراً من ملامح المعتقدات الدينية البدائية القديمة كالطوطمية(Tutemismus) ، حيث ربطوا بين المعبودة أثينا وبين طائر البوم، وبين كبير الآلهة زيوس والثور أو النسر، وأرتيميس بالغزال وهكذا.

وترجع جذور كثير من تلك المعتقدات الدينية إلى العصر الموكينى، حيث صور العديد من الآلهة الأولمبية على آثار ذلك العصر مع مايميزها من الصفات، ووردت أسماء لتلك الآلهة فى كتابات بيلوس.

وكان أهم عناصر الديانات الشعبية هو الاعتقاد فى إله محلى أو فى بطل من الأبطال، ولعبت عبادة الأسلاف أيضاً دوراً كبيراً فى المعتقدات الشعبية، وكذلك عبادة إلهة الأرض أو التربة كإلهة الخصوبة ديميتر ربة القمح (Demeter) وأختها برسفون (Persephon) التى تذكر الأسطورة عنها أن إله العالم السفلى هادس (Hades) قد اختطفها، واعتقد الإغريق فى وجود أرواح للأنهار وللغابات والينابيع وأن لها تأثيراً على حياتهم اليومية.

* * *

التطـور الاقتصادى
منذ القرن الثامن وحتى القرن السادس قبل الميلاد
العصر العتيق - أو نشأة المدن - الدول

عاصرت بلاد الإغريق خلال هذه الفترة الزمنية نهضة سريعة فى كل نواحى الحياة الاقتصادية، فبينما كان المعدن المذاب يشكل بواسطة مطارق صغيرة على قوالب من الخشب توصل جلاوكس (Glaukos) فى خيوس (Chios) إلى طريقة أفضل، واقتبس صناع ساموس المهرة طرقاً أفضل لإذابة المعادن من حضارات مصر والشرق الأوسط القديم.

والواقع أن أشعار هومير لم تذكر شيئاً عن استغلال مناجم الحديد النحاس فى بلاد الإغريق، ولعلهم استوردوا خام الحديد والنحاس بواسطة الفينيقيين، أما فى العصر الذى يمتد من القرن الثامن حتى القرن السادس فقد بدء باستخراج النحاس من مناجم بالقرب من خالكس

(Chalkis) فى جزيرة يوبيا، وكانت تستخرج كميات من خام الحديد من لاكونيا ومن مواقع أخرى، وفى نهاية تلك الفترة الزمنية ظهرت تحسينات كبيرة فى الأدوات المستعملة فى الصناعات اليدوية، وتدل على ذلك الرسوم المصورة على أوانى الفخار.

وتطورت صناعة بناء السفن الحربية والتجارية بالاستعانة بالخبرات الفينيقية، ويروى المؤرخ الإغريقى توكوديدس (Thukudides) عن بناء أول مركب حربى سريع من نوعه بعدد من المجاديف يصل إلى ٢٠٠ مجدافاً فى كورنثة، وذلك فى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد.

وحدث تطور واضح فى فن البناء، فبنيت المبانى الضخمة ورصفت الشوارع أيضاً، وتطورت صناعة الأوانى الفخارية مع تطور التجارة، إذ كانت تستعمل فى نقل السوائل كالنبيذ وزيت الزيتون وكذلك الحبوب والدقيق وغيرها.

وفى الزراعة استعمل المحراث بسلاح حديدى يجره الثيران، كما استعملت الرحاة بأحجامها المختلفة فى طحن الحبوب وفى عصر واستخلاص الزيوت أيضاً.

ومما يدل على تطور التجارة ظهور العملة الإغريقية لأول مرة التى نقلها الإغريق فى النصف الأول من القرن السابع من مملكة ليديا الإغريقية بآسيا الصغرى، وانتشر استعمالها فيما بعد انتشاراً سريعاً، وأخذت بعض المواقع الإغريقية ـ والمعابد الهامة فى بداية الأمر ـ تلعب دور المراكز التجارية لكل بلاد الإغريق.

ولم تتخذ الأعياد الهيلينية طابعاً دينياً وإنما أصبحت كالأسواق، وظهر فيها التنافس بين الشعراء والموسيقيين والرسامين.

وفى القرن التاسع أو الثامن استعار الإغريق الأبجدية الفينيقية وطوروها وأضافوا إليها، فظهرت إلى الوجود الأبجدية الإغريقية التى تعتبر وسيلة هامة فى التطور الحضارى.

ظهور الطغاة:

أدى التطور الاقتصادى والاجتماعى إلى تمركز السلطة فى يد حكام مطلقين عرفوا باسم الطغاة (Tyrants) ، الذين يعتمدون فى كثير أو قليل على الشعب (Demos) المؤلف من المزارعين والتجار والصناع واصطلاح طاغـيـة (Tyrann, Tyrannis) لم يكن له ذلك المعنى البغيض فى ذلك الحين إذ كان المقصود به حاكم وصل إلى السلطة المطلقة عن طريق انقلاب، وكان كل نضالهم موجه ضد الطبقة الارستقراطية، فيذكر الطاغية إبسيلوس (Eypselos) (حوالى ٦٥٨ – ٦٢٨ قبل الميلاد) كيف أنه حينما وصل إلى السلطة فى كورنثة طرد الأرستقراطيين وصادر أراضيهم ووزعها على المواطنين الفقراء، وقد واصل ابنه بريانيدس سياسته وأنشأ إلى جانب مجلس المدينة القديم مجلساً جديداً فى المنطقة التى يستوطنها المزارعون، كما رفع ديانة المزارعين التى تمجد المعبود ديونيسوس (Dionysos) لتصبح ديانة الدولة الرسمية، وأسس المستعمرات واتبع سياسة خارجية لمصلحة

التجار والعمال الكورنثيين ولذلك أصبحت كورنثة على أيامه من أغنى وأقوى المدن، حيث بنيت المرافئ الجديدة للسفن، وأقيمت المنشآت العامة، وتطورت الفنون التشكيلية، وكان بلاط هذا الطاغية يضم أفضل الموسيقيين والشعراء.

وكان طاغية ساموس المدعى بولو كراتس (Polykrates) من أشهر الطغاة فى العالم القديم، وقد عاش فى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد، فعلى أيامه سيطر أسطول ساموس على كل الحياة الإغريقية، وأضحت ساموس واحدة من أغنى بلاد الإغريق، ولقد اعتمد بولو كراتس على التجار والعمال فى صراعه ضد الأرستقراطيين، الذين طرد كثير منهم من ساموس، ومن أجل أن يكسب معظم أحرار الشعب إلى جانبه فى ساموس أقام منشآت عامة ضخمة،. فالمؤرخ هيرودوت يمتدح ثلاث إنشاءات معمارية لبولو كراتس فى ساموس «والتى ليس لها مثيل فى بلاد اليونان» مثل شبكة مياه الشرب التى امتدت إلى مسافة سبعة ستاديوم وهو يساوى ٣٦٠ متراً، ثم بناء المعبد ويعد ضمن أكبر معابد الإغريق، ولقد حكم الطغاة كثيراً من المدن اليونانية ومن ضمنها أثينا، ولكن الملاحظ أن حكم الطغاة لم يدم طويلاً فى أى من هذه المدن، ففى كورنثة انتهى حكم الطغاة بوفاة بريانيدس المذكور، وانتقلت السلطة إلى أيدى الطوائف الغنية مرة أخرى، والتى تطورت لتصبح طبقة مميزة أدخلت النظام الجمهورى، وكذلك الحال بالنسبة للكثير من المدن الإغريقية الأخرى.

ومن أمثلة المستعمرات الزراعية الإغريقية مدينة خالكيس (Chalkis) التى تأسست فى القرن الثامن قبل الميلاد فى شبه جزيرة تقع فى الجزء الشمالى من البحر الإيجى والتى حملت فيما بعد اسم (Chalkidide) خالكيديدى، وكذلك مدينة بيزنطة (Byzantion) التى أسسها مهاجرون من ميجارا الدورية على الشاطئ الطراقى فى الجانب الغربى للبوسفور (Bosphorus).

وكانت المستعمرات الإغريقية الأخرى التى تأسست فى نفس الوقت تقريباً فى جنوب إيطاليا وفى صقلية ذات طبيعة زراعية، بل أنها اشتهرت فيما بعد بخصوبة أرضها، وكان المستعمرون الإغريق يستوردون المنتجات اليدوية والأقمشة والفخار وزيت الزيتون والنبيذ من بلادهم الأصلية ويصدرون لها الفائض من منتجاتهم الزراعية.

ثم تطورت المستعمرات الإغريقية تدريجياً لتصبح مراكز تجارية، عندما قام المستعمرون بمبادلة فائض المنتجات المستوردة من بلادهم الأصلية مع القبائل المجاورة فى مقابل المواد الخام وغيرها. وفيما بعد طور المستعمرون إنتاجهم الصناعى أيضاً، وهكذا أتاح الاستعمار للعالم الإغريقى أن يوسع حدوده، فقويت العلاقات بين الإغريق وبين القبائل والشعوب الأخرى.

وكانت المستعمرات الإغريقية تنحصر فى مساحة ضيقة على الشريط الساحلى باستثناء بعض المستعمرات، فكانت تقع كقاعدة عامة

فى الساحل أو فى أقرب مكان منه، ويشبه الفيلسوف أفلاطون (Plato) فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد المدن الإغريقية المنتشرة فيما بين جبال القوقاز وحتى جبل طارق على الشريط الساحلى بالضفادع التى تقفز حول إحدى البحيرات إذا ما ألقى عليها حجر.

ومن المدن التى أسست عدداً من المستعمرات ميلت (Milet) التى كان لها حوالى ٦٠ مستعمرة، وتطلبت قضية الاستعمار نفسها وعملية تأسيس المستعمرات الجديدة أن تتدخل الدولة لتنظيمها، ففى مثل هذه المدن كان يتم اختيار أشخاص معينين سموهم أو كستاوى (Oikistai) وكان ضمن واجباتهم الإشراف على المستعمرات الجديدة، ولم يقتصر الأمر فى معظم الحالات فى تأسيس تلك المستعمرات على مواطنى تلك المدن المؤسسة لها فقط وإنما شارك فيها سكان آخرون مغيرها من المدن، وفى هذه الحالة تصبح المدينة التى تسعى لتأسيس مستعمرة كنقطة تجمع لكل الذين يرغبون فى الاستيطان فى المستعمرة الجديدة.

وفى المرحلة التى نحن بصددها نمت بعض المستعمرات اقتصاديا بسرعة لتنافس المدن الإغريقية الأصلية التى أسستها، وعلى سبيل المثال مستعمرة سيراكيوز فى جزيرة صقلية التى أسستها مدينة كورنثة، حيث ازداد تعداد سكانها كثيراً وتضاعفت ثروتها حتى وصلت إلى مستوى مدينة كورنثة الأم نفسها.

وكانت المستعمرات الإغريقية فى حد ذاتها مدناً ودولاً مستقلة فى نفس الوقت كالمدن التى أسستها، وكانت علاقة المستعمرة الجديدة

بالمدينة الإغريقية التى أسستها علاقة صداقة بوجه عام، واتخذت أحياناً شكل اتحاد، ولكنها كانت علاقات بين دولتين مستقلتين أيضاً بما قد يحدث بينهما من شقاق ونزاع مسلح أحياناً.

الاتجاهات الرئيسية للاستعمار الإغريقى:

اتخذ الاستعمار الإغريقى منذ القرن الثامن حتى القرن السادس قبل الميلاد عدة اتجاهات فى نفس الوقت حددتها علاقات الإغريق مع غيرهم من الشعوب والقبائل الأخرى، ومع استمرار التوسع الاستعمارى ظهرت علاقات جديدة بدأت تقوى رويداً رويداً بين المستعمرين الإغريق وبين قبائل تلك الشعوب التى مازالت تعيش فى ظروف بدائية، وهذا ينطبق على علاقة الإغريق مع القبائل الطراقية فى شبه جزيرة البلقان وكذلك على القبائل الأصلية فى جنوب إيطاليا وصقلية ثم الكلتيين والأيبيريين الذين عاشوا فى الزمن القديم فى كل من فرنسا وأسبانيا وعلاقتهم مع القبائل القاطنة على شواطئ البحر الأسود، وهكذا كون الإغريق علاقات سلمية فى الغالب عن طريق التبادل التجارى مع القبائل الأصلية، ولكن الأمر لم يخل من بعض الصدامات المسلحة.

وبدأ التقدم الاستعمارى نحو الغرب بتأسيس مستعمرات على شاطئ البحر الإيونى، وفى جنوب بحر الإدرياتيك بدأ فى إبيروس (Epirus) والليريا وعلى بعض الجزر هناك.. ثم فى جنوب إيطاليا، وفى خلال القرنين الثامن والسابع اشترك المهاجرون من كثير من المدن الإغريقية فى استعمار جنوب إيطاليا ومن بينهم أعداد من سكان مسينيا من غرب

البلوبونيز فروا أمام غزو اسبرطة لبلدهم واتجهوا غرباً ليشاركوا فى استعمار الجنوب الإيطالى، وحطوا رحالهم فى مدينة رجيون (Rhegion) التى أسسها قبل ذلك بوقت قصير الخلقدونيون على الطريق البحرى إلى مسينيا، ومن اسبراطة توجه عدد من السكان إلى نفس الخليج فى جنوب إيطاليا وأسسو تارنت (Tarent) ، وعلى نفس الشاطئ أسس الآخيون مدينتى توبارس (Tybaris) وكروتون (Kroton) ، ثم تطورتا إلى مدينتين مزدهرتين شهيرتين، وأسس (الخلقدونيون) الذين سبق ذكرهم آنفاً بالاشتراك مع مستعمرين آخرين من مكان فى آسيا الصغرى ويحمل نفس الاسم مستعمرة فى جنوب إيطاليا سموها مدينة كوماى (Kyme) ، أو (Cumae) ، وقام سكان كوماى من جانبهم بتأسيس مستعمرات بالقرب منهم كان أهمها نابلى (Neopolis) ، ومعنى الاسم مدينة جديدة.

وطبقاً للرواية الإغريقية أسس الخلقدونيون مدينة ناكسوس (Naxos) فى عام ٧٣٥ قبل الميلاد، وفى نفس الزمن تقريباً أسست كورنثة على الشاطئ الشرقى لصقلية مستعمرة سيراكيوز (Syrakus) التى تطورت لتصبح أهم مدينة إغريقية تقع إلى الغرب من بلاد الإغريق.

وفى النصف الثانى من القرن الثامن وخلال القرن السابع نشأت مستعمرات أخرى كثيرة على شواطئ صقلية، وأخذت حركة تأسيس المستعمرات تزداد نشاطاً على هذه الشواطئ الإيطالية منذ القرن السادس وخاصة فى المنطقة المحيطة بمستعمرات ترنت (Tarent) مما دعى إلى تسميتها «بالإغريق العظمى».

وفى «الإغريق العظمى» استولى كثير من المستعمرين على مساحات كبيرة من الأراضى الخصبة وحولوا أصحابها الأصليين إلى تابعين، مما أدى إلى صدامات مسلحة بين الطرفين بسبب التوسع الإقليمى والمنافسات التجارية والصراع على الزعامات السياسية، وقامت بين المستعمرين أنفسهم اشتباكات مسلحة، مثلما حدث فى سيراكيوز بجزيرة صقلية التى دخلت فى صراعات عديدة مع مستعمرتها كامرينا (Kamarina) ، وكانت تلك الصراعات بين المدن الحرة المختلفة تؤدى إلى صراعات بين عناصر المجتمع الداخلى لتلك المدن وبين المجموعات السياسية المتنافسة التى نشأت على غرار ما كان سائداً فى بلاد الإغريق نفسها.

وتقدم الإغريق فى استعمارهم نحو الغرب حيث تمكن المهاجرون الإغريق من فوكايا (Phokaia) من تأسيس مستعمرة مساليا (Massalia) على مصب نهر الرون وهى مدينة مارسيليا الحالية فى جنوب فرنسا، وقامت مساليا فيما بعد بدورها بتأسيس مستعمرات جديدة. وخلال توسعهم الإقليمى اصطدم الإغريق بالإترسكيين فى إيطاليا ثم بالقرطاجيين أيضاً، إذ استطاع القرطاجيون بمساعدة الإترسكيين من صد المستعمرين الإغريق من فوكايا عن جزيرة كوسيكا (Kosika) عندما حاولوا تأسيس مستعمرات لهم فيها، وحافظ القرطاجيون على جزء كبير من مساحة صقلية وتصدوا للإغريق ومنعوهم من إقامة مستعمرات فى جنوب أسبانيا وفى غرب الشمال الإفريقى، كما احتفظوا بجزيرة سرديتيا (Sardinia) كلها.

وعلى الشاطئ الجنوبى الشرقى للبحر المتوسط أسس الإغريق مستعمرتين هامتين:-

الأولى: نيو كراتيس (نقراطيس) فى مصر.

والثانية: قورينة (Kyrene) فى برقة على الشاطئ الليبى الحالى.

وكان لمستعمرة نقراطيس فى مصر وضع خاص، ذلك لأن الملك المصرى هو الذى اختار مكان المدينة الإغريقية، وقرر بنفسه إقامتها لكى يستوطنها الإغريق الذين يعملون فى التجارة وكان عليهم أن يدفعوا الضرائب لمصر، وكان سكان نقراطيس يتألفون من مواطنين من مختلف المدن الإغريقية، واحتفظوا بنظام المدينة الحرة (بوليس Polis) فى حكم أنفسهم، وفى نقراطيس تطورت الصناعات اليدوية، وكانت معظم المنتجات التى تحاكى مثيلاتها المصرية تصدر إلى الخارج بما فى ذلك بلاد الشرق الأدنى القديم.

وكانت قورينه هى المستعمرة الإغريقية الثانية على الساحل الإفريقى للبحر المتوسط أسسها مستعمرون من المدن الدورية بوجه خاص فى عام ٦٣١ قبل الميلاد أى فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ثم قامت إلى جوارها فيما بعد مستعمرات جديدة، وتمكنت قورينا من توحيدها جميعاً تحت زعامتها فيما عرف باسم البنتابوليس- أى المدن الخمس (Pentapolis) وتشمل كل منطقة برقة (Cyreneika)، وكانت أرضها خصبة جداً، وهناك نص من القرن

الرابع قبل الميلاد، يشير إلى أن قورينة صدرت أكثر من ٨٠٠٠٠ مديمنوس حبوب (والمديمنوس = ٥٢,٥٣ متراً مكعباً) خلال ثلاث سنوات إلى مختلف المدن الإغريقية، وتمثلت أهم سلع التصدير من قورينة في الشعير وزيت الزيتون والبلح ونبات السلفيوم.

ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد بدأ المهاجرون الإغريق من مختلف المدن الإغريقية في آسيا الصغرى في الاستيطان على شواطئ الدردنيل (Hellesponts) وبحر مرمر وعلى الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود (Pontus) ،ففي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ظهرت إلى الوجود مستعمرة (Kyzikos) على شاطئ بحر مرمره، ومستعمرة سينوبي ومستعمرة ترابيزون على الشاطئ الغربي للبحر الأسود. وعلى الشاطئ الغربي للبحر الأسود أيضاً قامت في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد مستعمرة استريا (Istria) ، ثم تتابع تأسيس المستعمرات غربي البحر الأسود والتي كانت بمثابة مراكز انطلاق للمستعمرين الإغريق نحو الشمال.

ولقد بدأ استعمار الإغريق في المنطقة شمالي البحر الأسود فيما بعد، وساهم إغريق آسيا الصغرى في ذلك بنصيب كبير.

وازدادت حركة التجارة بين الإغريق وبين القبائل المحلية في المناطق الجديدة، كما ساهم الاستعمار الإغريقي كثيراً في التطور التاريخي لبلاد الإغريق نفسها، وأدى استعمار الإغريق لمناطق عديدة مع نشاط حركة التجارة إلى زيادة الإنتاج من الصناعات اليدوية

الإغريقية، مما أدى بدوره إلى تقوية نفوذ طبقات الصناع وصغار التجار الذين يتألف منهم الشعب (Demos) الإغريقى، والذين كانوا فى صراع دائم مع الأرستقراطيين، وهكذا كانت عملية الاستعمار الإغريقى منذ القرن الثامن وحتى القرن السادس قبل الميلاد عاملاً هاماً فى القضاء على بقايا النظام الأرستقراطى فى بلاد الإغريق.

ونحن لانعرف إلا القليل عن الظروف الاجتماعية لحياة المستعمرين الإغريق فى بداية عهدهم، وهناك إشارات عن الأوضاع السائدة فى المدن فى بلاد «الإغريق العظمى» فى جنوب إيطاليا وفى صقلية وعن الصراعات التى قامت فيها فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد فى تلك المدن ـ الدول، مما أدى إلى ظهور حركات إصلاح تشريعية فى زمن يسبق مثيله فى المدن الأم فى بلاد الإغريق نفسها، وهناك معلومات عن مشرعين ظهروا فى كل من الجنوب الإيطالى حوالى عام ٦٥٠ قبل الميلاد وفى صقلية فى القرن السادس قبل الميلاد تعكس قوانينها الظروف الاجتماعية للمجتمع الزراعى، وفى أحد تلك القوانين يحرم المشرع الوساطة فى التجارة، فكان على المزارع أن يبيع إنتاجه إلى المستهلك بدون وسيط تجارى، وحرم القانون العقود المكتوبة كلية، إذ كان المفروض أن تعقد الاتفاقات والمعاملات الشخصية وغيرها شفوياً وبحضور مجموعة من الشهود.

ونتيجة لتطور العلاقات ما بين السلعة والقيمة النقدية ازداد التضارب والخلاف بين كبار ملاك الأراضى وبين الصناع والتجار،

وبدأت هذه الصراعات والتناقضات أيضاً فى المستعمرات الغربية مثلما كان يحدث فى بلاد الإغريق نفسها مما أدى إلى الانقلابات السياسية التى انتهت بظهور(Tyrannis).

وفى مدن صقلية الإغريقية قام «حكم الطغاة» فى نهاية القرن السابع قبل الميلاد وبلغ ذروته فى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد إلى إجراء إصلاحات أدت إلى الحد من سلطتهم السياسية والاقتصادية، ولكن التحول الديمقراطى للدولة بدأ بعد ذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد، ومع ذلك كان انتصار الديمقراطية انتصاراً قصير العمر.

وكان العامل المشترك فى هذه التحولات يتمثل فى اتحاد طوائف الصناع والتجار فى السعى نحو السلطة ونحو المزيد من الحقوق السياسية، وتأثر هذا الصراع الداخلى بوضع السياسة الخارجية، ذلك أن سعى المدن الإغريقية فى الجانب الغربى لحوض البحر الأبيض المتوسط للسيطرة على طرق التجارة أدى إلى الاصطدام مع القرطاجيين ثم مع الأترسكيين.

* * *

الديانة والفكر والفن فى بلاد الإغريق
من القرن الثامن وحتى القرن السادس قبل الميلاد

كانت الفترة ما بين القرن الثامن وحتى القرن السادس فترة صعود وطفرة بالنسبة للحضارة الإغريقية القديمة، واعتمدت تلك الحضارة فى كثير من نواحيها على إنجازات الحضارات الشرقية، مستعينة بالحروف الفينيقية، فخلال القرنين السابع والسادس بدأ الإغريق فى تسجيل أساطيرهم القديمة بالكتابة، وبدأ القانون الإغريقى المكتوب يحل محل العرف والتقاليد تدريجياً، وعاصر الإنتاج الأدبى فترة ازدهار، وكذلك الحال بالنسبة للفنون التشكيلية والعمارة، وفى بداية القرن الخامس كانت الأسس الضرورية قد وضعت لاستمرار تطور وازدهار الحضارة الهيلينية فيمات بعد، تلك الحضارة التى كان لها تأثير كبير على التطور الحضارى العالمى.

المعتقدات الدينية :

فى بداية هذه المرحلة اتخذت بعض المعتقدات والأفكار الدينية طابعاً عاماً لمعظم سكان بلاد الإغريق، وفى نهاية هذه المرحلة استقرت الملامح الأساسية للديانة الأولمبية، وكان تصورهم لأسرة الآلهة الأولمبية وعلى رأسها زيوس أبو الآلهة وأبو البشر أيضا عبارة عن صورةمطابقة للأسرة الإغريقية التى يتزعمها الأب.

وبناءً على ذلك كانت الآلهة الأولمبية تنتسب إلى زيوس بصلة الدم، وفى زمن الحكم المطلق للأرستقراطية الإغريقية كان الحكام يدعون انتسابهم لإله أو لآخر ليكسبوا حكمهم صفة الشرعية المطلقة، وفيما بعد نظر الإغريق للآلهة الأولمبية نظرة مغايرة قليلاً، فقد اعتبروها آلهة حارسة لعشائرهم.

وابتكر الشعراء والرسامون أحياناً من الأساطير القديمة صوراً لأعمالهم، وفى زمن الطاغية بسستراتوس فى القرن السادس قبل الميلاد دونت فى آسيا إلياذة وأوديسة هوميرـ بعد أن ظلت حتى ذلك الحين تتناقل عن طريق الرواية الشفوية. وينسب إلى القرن السابع أو القرن السادس قبل الميلاد ما يعرف باسم الملاحم الكيكلية التى كانت تروى فى شكل شذرات، وتحتوى على أساطير شعبية وبعضها يتناول حرب طروادة والبعض الأخر يعود إلى عصور سابقة.

وهناك مصدر آخر يمدنا بمعلومات عن المعتقدات الدينية فى بلاد الإغريق وهو المدائح الهوميرية، وهى عبارة عن مدائح للآلهة، وكانت توضع عادة كمقدمة للأشعار الهوميرية، ولعل أقدمها ظهر قبل القرن السابع قبل الميلاد.

يضاف إلى ذلك وفى نفس العصر تقريباً محاولة الشاعر الإغريقى هسيود (Hesiod) وفى نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع قبل الميلاد تجميع العقائد الدينية فى هللاس أى فى بلاد الإغريق فى عمل واحد، وهكذا احتوى مؤلفه الشعرى واسمه ثيوجونى (Theogoine) وهى أشعار تتناول ظهور الآلهة على معتقدات وأفكار أكثر أصالة مما أوردت الإلياذة والأوديسة، ويعتبر مؤلف الشاعر هذا أول محاولة فى التاريخ الإغريقى للبحث عن تفسير لنشأة الكون وتصور نموذجى لنظام عالمى عادل.

ومع تحول الديانة الأولمبية لتصبح الديانة الرسمية للمدن ـ الدول أصبح الاشتراك فى الصلوات والطقوس لعبادة الآلهة الأولمبية حقاً وواجباً على كل مواطن، فلم يقم فى المدن ـ الدول الحرة الإغريقية ـ نظام خاص للكهانة، وإنما كان يقوم بالمهام الكهنوتية فى الاحتفالات والمناسبات الدينية لتقديم القرابين موظفون تم انتخابهم بواسطة مجلس الشعب.

ولقد لعب معبد أبوللو فى مدينة دلفى ومعبد أبوللو فى ديلوس (Delos) وكذلك معبد زيوس فى مدينة أولمبيا دورا هاما فى العقائد الدينية فى بلاد الإغريق خلال القرن السادس قبل الميلاد.

وكان يحضر الاحتفالات التى تقام لهذه المعابد أعداد كبيرة جداً من إغريق المدن البعيدة والقريبة، وكانت تتمثل فى مباريات رياضية ومسابقات للشعراء والموسيقيين، وكان يحضرها أيضا ممثلون عن المدن الإغريقية المختلفة، وكانت تعقد المباحثات السياسية من حول تلك المعابد الشهيرة، ومنها عدة تحالفات أدت إلى قيام وحدات سياسية بين عدد من المدن الحرة المتجاورة.

ولقد ثبتت المعتقدات الأولمبية الفوارق داخل المجتمع الإغريقى وعبر الشعب عن عدم رضاه على هذا النظام الجديد القائم على التفرقة من خلال معتقداتهم الدينية، فانتشرت عبادة ديونيسوس الذى لقب بحامى الزراع انتشاراً كبيراً، واشترك فى أعياده أعداد غفيرة من المواطنين، وكذا عبادة ديميتر (Demeter) ربة الأرض والخصوبة بوجه عام والتى قيل عنها أنها تواسى الناس فى أحزانهم.

الآداب الإغريقية :

(أ) الشعر:

وفى الفترة من القرن الثامن إلى القرن السادس دخل الأدب الإغريقى فى مرحلة جديدة من مراحل تطوره حيث تغلغلت الحياة الحقيقية أكثر فأكثر فى عالم الشعر، وقد بدأ ذلك يظهر مبكراً فى المدائح الهوميرية. وفى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد

استعار الشاعر هبوناكس (Hipponax) وهو من مدينة إفسوس أسلوب المدائح الهوميرية فى كتاباته، كما ألف هبوناكس أيضا شعراً ساخراً، فيه قلد أسلوب الإلياذة فى وصف حرب بين الفئران وبين الضفادع بطريقة شعرية على غرار ملاحم هومير.

ومع استمرار التطور فى الأدب الإغريقى أخذت الحياة اليومية تثير اهتمام الأديب وأصبح الإنسان الفرد بكل اهتماته وميوله واحساساته موضوعاً هاماً من مواضيع الحياة الأدبية، فأشعار هسيود (Hesiod) «الأعمال والأيام» تتناول بالوصف الحياة اليومية فى المجتمع الإغريقى من وجهة نظر فلاح بسيط يعانى من الظلم، ويتحدث هسيود بمرارة عن حياته، ويشبه وضع المزارع البيوتى «من بيوتيا» بحالة الطائر الذى سقط فى شباك الصياد، ويعتبر هسيود أن العمل الشريف للإنسان العادى هو الطريق المثالى، ويتضمن شعره نصائح اقتصادية وتعاليم أخلاقية، ويدين الشاعر التقاليد القديمة البالية الآيلة إلى السقوط، والتى كانت ترمى إلى جمع المكاسب الشخصية واصطياد الثروة، ويتحدث الشاعر عن الشباك الشريرة التى تنصب ليقع فيها الإنسان الشريف، ثم يلقى إلى الضياع، لا لسبب إلا لأنه محاط بالعديد من اللصوص.

ويضيف هسيود فى شعره خمسة صور أو مراحل مر بها الإنسان، محاولاً عن طريق سردها أن يبين ضيقه وحزنه على تدهور الأحوال فى عصره، ففى بداية الأمر نشأ العصر الذهبى حيث عاش الناس بلا هموم وبلا عمل أيضاً، وحيث كانت الحقول تحمل أطيب الثمرات بلا

تدخل من الإنسان، وتلا ذلك عصر الفضة والنحاس ثم جاء عصر الأبطال، أما العصر الذى عاش فيه الشاعر فسماه عصر الحديد، ووصفه بأنه عصر دولة العداوة والهم والأسى، وكان هسيود يعتقد إنه سيأتى اليوم الذى ترتدى فيه كل من العدالة والحقيقة ملابس بيضاء، ثم ينسحبا إلى جبل الأولمب ويهجرا الناس إلى الأبد، لأن الناس لا يصدر عنهم سوى الألم والأسى.

ومما يميز الحياة الاجتماعية والثقافية فى بلاد الإغريق فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد نمو الشعر الغنائى (Lyrik) ، واصطلاح ليرك هذا له معنى مجازى لأنه مستعار من كلمة (Lyra) وهى آلة موسيقية خاصة «قيثارة» كانت تصاحب نوعاً خاصاً من الشعر.

وفى الواقع إن إلقاء القطع الأدبية الشعرية كانت تصاحبه أحياناً آلات موسيقية كالصفارة «الفلاوت» مثلا.

وتمتد جذور الشعر الغنائى إلى أغانى الكورس الشعبية وأغانى الطقوس فى المناسبات كالزواج مثلاً وأغانى العمال والنساجين وحارثى الأرض وغيرهم، ثم أصبح الشعر الغنائى واحداً من إبداعات الشعر الإغريقى، وأشعار الغناء تناولت كل مشاكل المجتمع، فكالينوس (Kallinos) فى النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد لم يتغن بأعمال حربية تدور حول الرغبة فى الشهرة وجمع الغنائم وإنما تغنى بشجاعة رجل حارب فى سبيل الوطن من أجل ذويه ودفاعاً عن زوجته وأولاده. كما كتب صولون أشعاراً للدفاع عن إصلاحاته.

وفى نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس عاشت الشاعرة سافهو (Sappho) وهى أقدم شاعرة معروفة لدينا حتى الآن فى جزء من هللاس تمتعت فيه المرأة بنصيب وافر من الحرية أى فى جزيرة لسبوس (Lesbos) على ساحل آسيا الصغرى.

وخلال المرحلة الزمنية التى نحن بصددها ظهرت التراجيدى «التراجيدى» (Tragodie) أو المأساة، وأخذت فى التطور مرتبطة باحتفالات أعياد الربيع التى كانت تقام تكريماً لديونيزوس (Dionysos) ، وكلمة تراج وديا إغريقية الأصل وتتألف من الكلمة تراجوس (Tragos) بمعنى عنزة وكلمة أودى (Odi) بمعنى أغنية، ذلك أن المنشدين «الكورس» الذين كانوا ينشدون أغانى المديح لديونيزوس (Dionysos) كان أفراده يلبسون جلود الماعز بينما حمل المغنون قرون الماعز فوق رءوسهم ليقوموا بدور الآلهات ساتورن (Satyrn) ذوات القرون واللاتى ذكرت الأسطورة أنهن كن فى مصاحبة الإله ديونيزوس (Dionysos) ، فكان قائد الكورس يحكى عن جولات ديونيزوس وبطولاته فيرد عليه الكورس بأغانى المديح الشهيرة.

وطبقاً للرواية يعتبر تسبس (Thesspis) هو مؤسس التراچيديا أى المأساة وذلك فى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد، فهو الذى قام بتكملة الحوار الأصلى بين قائد الكورس وبين الكورس بواسطة حوار جانبى بين قائد الكورس وأحد أفراد الكورس الذى يسمى بالمجيب، وأطلق عليه اصطلاح الممثل (Aktuer) فيما بعد.

(ب) نشأة النثر (Prosa) :

ظهر النثر فى بلاد الإغريق فى نهاية تلك الفترة الزمنية، وكان موطنه فى المدن الاغريقية وفى الساحل الإيونى لآسيا الصغرى حيث أدت حاجة السكان فى تلك المدن نحو الاهتمام بحاضرهم وماضيهم إلى ظهور القصص الشفوية التى اعتمدت على تقارير كبار الرحالة ومغامراتهم، ولقد اشتملت.تلك التقارير أحيانا على معلومات صحيحة ذات طابع جغرافى واثنوجغرافى تتناول التقاليد والعادات، وذات محتوى تاريخى وأحياناً أخرى كانت تتألف من أحداث من صنع الخيال، وهكذا أصبحت الرواية الشفوية تكون جزء هاماً فى الحياة الثقافية للسكان اليونيين وأسموها لوجوس (Logos) بمعنى كلمة أو قصة.

وعندما بدأت الكتابة فى الانتشار سعى اليونيون أو الإيونيون إلى كتابة تلك الروايات تماماً كما كانت تروى فى شكل نثر (Prosa) وليس على شكل أشعار.

وفى تاريخ الأدب الإغريقى فرق بين الشعراء الإغريق وبين مؤلفى الأعمال النثرية الذين أطلق عليهم اسم كتاب النثر، ويعد كادموس من ميليت (Milet) من أقدم كتاب النثر، إذ عاش فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ومن أشهر الكتاب الذين عاشوا فى نهاية القرن السادس قبل الميلاد وبداية القرن الخامس قبل الميلاد شيلاكس (Shelax) من كاريا فى آسيا الصغرى، وهو مؤلف رواية عن رحلة إلى

الهند، ثم هيكاتيوس (Hekataios) من ميليت (Milet) الذى يمكن اعتباره مع بعض التحفظات أول جغرافى إغريقى.

والشكل الثانى للنثر يتمثل فى الرواية الشعبية التى تقوم فيها الحيوانات مقام البشر، ويعد آسوب (Asop) أقدم من كتب فى هذا اللون من الأدب، وقد عاش فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد تقريباً، وترجمت كتابات آسوب إلى لغات كثيرة، وكان لها تأثير كبير على مثيلاتها فى الأدب فى أنحاء العالم القديم.

(جـ) الفنون :

وتطورت الفنون الإغريقية كثيراً فى المرحلة الزمنية ما بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، وينطبق هذا التطور بوجه خاص على العمارة، وأهمها عمارة المعابد ذات القيمة الفنية الكبيرة، وكانت أقدم المعابد تبنى من الخشب، لذا ظلت العمارة الحجرية فيما بعد متأثرة إلى حد كبير بكل مميزات العمارة الخشبية ، ويشهد معبد هيرا فى أوليمبيا (Olympia) مرحلة الانتقال ما بين العمارة الخشبية والعمارة الحجرية.

وفى نهاية القرن السابع قبل الميلاد ظهر إلى الوجود الطرازان الأساسيان للأعمدة فى العمارة الإغريقية وهما :-

١- الطراز الدورى.

٢- الطراز اليونى .

وقد انتشر طراز الأعمدة الدورى بشكل ملحوظ فى جنوب إيطاليا وفى جزيرة صقلية وفى أوليمبيا وكورنثة فى بلاد الإغريق الأم.

وبينما انتشر الطراز اليونى فى جزر بحر إيجة مثل ساموس وإفيسوس (Ephesos) على ساحل بحر إيجة فى آسيا الصغرى.

والعمود الدورى هو أشد هذه الأنواع صلابة وصرامة فى المنظر وأكثرها ضخامة فى نسبه ، ويقل قطره كلما ارتفع إلى أعلى ، وهو بدون قاعدة ، ويحتوى بدن العمود على قنوات محفورة طولياً تلتقى ببعضها بحواف حادة، ويتكون تاج العمود من قرص حجرى مستدير ومن فوقه قطعة حجرية مربعة تقوم بدورها برفع الأكتاف أو التكنات التى تحمل السقف، وقد نسب العمود الدورى إلى الدوريين ، ويعتقد البعض أنه مقتبس من أعمدة المقابر المصرية فى عمارة مقابر الدولة الوسطى فى بنى حسن بالمنيا بمصر الوسطى، أما العمود اليونى فيتميز عن العمود الدورى بالرقة والنحافة وكثرة الزخارف ، وفى أنه ذو قاعدة مركبة، أما القنوات المحفورة طولياً فى بدن العمود والتى يبلغ عددها ٢٤ قناة فلا تلتقى ببعضها ، وإنما تترك بينها وبين بعضها البعض مسافات صغيرة، أى أن كل قناة تنفصل عن الأخرى بحافة مستوية بدلاً من الحافة الحادة فى العمود الدورى ويتميز تاج العمود اليونى بوجود أربع لفات حلزونية بارزة، أما الإفريز الحجرى ما بين الأعمدة والسقف فكان يتكون أحياناً من منحوتات بارزة هى درة فى النحت الإغريقى على شكل مجموعة مستمرة من التماثيل المنحوتة نحتاً بارزاً.

وفيما بعد ظهر العمود الكورنثى الذى يشبه العمود اليونى، ولكنه يتميز بتاجه المركب والمؤلف من منحوتات تقليداً لسلة من الزهور،

ويشبه فى مجموعه الناقوس المقلوب ويحاط بصفين من ورق نبات شوكة الجمل «الأكانتوس»، كل صف يتألف من ثمانى وريقات، ويعلو التاج لفافات صغيرة.

ولقد تطور فن النحت القديم وخطى خطوات واسعة، فانتقل من الأشكال الآدمية البدائية التى تشبه الأعمدة تحمل فوقها رؤوساً بدائية فى فى نحتها وإخراجها ، إلى تقليد شبه صادق لتقسيمات الجسم الإنسانى من الناحية التشريحية مثل المجموعة الفنية التى تحمل اسم «الحرب بين الآلهة والعمالقة»، وهى التى نحتها الفنان الأثينى فى نهاية القرن السادس قبل الميلاد، ومن أقدم الأعمال الفنية للمدرسة اليونانية تمثال الإلهة التى تسمى أرتيميس (Artemis) من ديلوس (Delos) من القرن السابع قبل الميلاد، وكان قد أدى التطور الاجتماعى للحياة فى المدينة الإغريقية إلى اكتساب النحت الإغريقى لمهارات جديدة، مما أدى إلى تطور فن النحت الذى وصل إلى درجة عالية من الدقة فى صدق تصوير الجسم الإنسانى.

وكانت التربية البدنية تمثل جانبا هاماً من جوانب التربية العامة، ذلك أن الحرب أصبحت ظاهرة عادية وكان على المواطن العادى أن يشارك بنصيب فى الصراعات الدائرة، ويتوقف النصر فى تلك الحروب التى تنشب دائماً بين الدول والمدن الصغيرة على مقدرة المدينة على سرعة تعبئة الأعداد الكافية من المحاربين الأشداء فى الوقت المناسب ، ومن أجل ذلك أصبحت التدريبات البدنية عنصراً

هاماً من عناصر الحياة فى بلاد الإغريق، وكانت التدريبات تبدأ فى سن الشباب المبكر فى مبانى خاصة سميت بالجمنازيوم (gymnasiem) تحت إشراف المدربين .

ولعبت المهرجانات المختلفة دوراً هاماً فى الحياة الاجتماعية لبلاد الإغريق، وفى أيام الأعياد كانت تقوم المباريات الرياضية والسباقات ، والمسابقات الموسيقية.

وفى القرن الثامن قبل الميلاد نظمت المباريات الكبرى لسكان كل بلاد الإغريق، ومما يبين قيمة تلك المباريات للحياة فى بلاد هللاس «الإغريق» القديمة أن الأعياد الأولمبية التى تقام كل أربع سنوات بمناسبة أعياد الإله زيوس فى أوليمبيا أصبحت أساساً للتأريخ، حيث أطلقت أسماء الفائزين الأربعة على السنوات الأربع الواقعة بين العيدين، وقد بدأ التأريخ بالأعياد الأوليمبية فى القرن الثالث قبل الميلاد.

وتطور فى بلاد الإغريق تدريجياً الإدراك العميق لأهمية تقليد الجسم الإنسانى الممتلىء بالحيوية، وأصبح أساس إلهام للإبداع فى فن النحت، وكان أول إنتاج للنحت هو التماثيل التى عثر عليها فى جزائر البحر الإيجى وفى بلاد الإغريق نفسها، وهى كلها متأثرة إلى حد بعيد بالطرز الشرقية وعلى الأخص طراز فن النحت المصرى الذى تصوره تماثيل الأفراد ذات القدم اليسرى المتقدمة والشعر المستعار على الطريقة المصرية مع بعض الاختلافات الحيوية، ويتميز فن النحت فى العصر

الإغريقى القديم بمحاولات الفنان أن يخرج الوجه مبتسماً، كما كانت تماثيل الإناث تصور نحيفة تغطى أجسادهن غلالات ذات ثنايا كثيرة ، وكان ذلك يعد شكلا محبباً للفنان اليونى فى القرن السادس قبل الميلاد.

وبالنسبة للنحت الإغريقى من هذه المرحلة هناك تمثال إلهة النصر المجنحة الذى أخرجه النحات أرخرموس (Archermos) وهو من جزيرة (Chios) ، وفى هذا التطور الفنى تظهر لنا أول محاولات النحات الإغريقى لإظهار الحركة السريعة الحية فى منحوتاته.

وكان الفنان الإغريقى القديم يعطى تماثيله ألواناً زاهية، وفن الرسم من هذا العصر تمثله الصور على الأوانى الفخارية الملونة، ولقد مر تطور الرسم بالألوان على الأوانى الفخارية بعدة مراحل، ففى بداية الأمر ساد الطراز الهندسى، ثم بدأت تظهر إلى جانب الحليات والزخارف الهندسية صور للطيور والغزلان والخيول ، وفى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ازدادت التأثيرات الشرقية فى تلوين الأوانى الفخارية الإغريقية، وتجلى ذلك فى المصنوعات الكورنثية بوجه خاص.

وفى بداية القرن السادس ظهرت فى أثينا طريقة جديدة للرسم، وهى طريقة رسم الصور باللون الأسود اللامع على الفخار الأحمر ، والتى استبدلت بطريقة الرسم الحمراء، وفيها تركت الصور نفسها بلون الفخار بينما لون الفراغ وخلفية المناظر نفسها باللون الداكن، وفى هذه الحالة أتيحت للفنان فرصة إظهار تفاصيل الرسم مثل ملامح الوجه ،

وثنيات الملابس، وبعكس طريقة الرسم باللون الأسود، والتى كانت تظهر المناظر كخيالات الظل بلا ملامح ولا تفاصيل.

وتعد الصور على الأوانى الفخارية مصدراً قيما لمعلوماتنا عن التطور الفنى وتطور الاقتصاد وطريقة الحياة، وعن المعتقدات الدينية للإغريق، فعلى أوانى القرن السادس قبل الميلاد مناظر الحرث وعصر النبيذ والمراكب ، بالإضافة إلى مناظر خيالية خاصة بالمعتقدات الدينية، وعن طريقها أمكن التعرف على خصائص المنازل والمحلات الحضارية الإغريقية، وعلى أقدم أشكال المعابد أيضا ، وأمكننا الحصول على تطور شكل الملابس والأسلحة التى استخدمها الإغريق القدماء.

هكذا يتضح أن الحضارة الإغريقية خلال المرحلة الزمنية من القرن الثامن وحتى القرن السادس قبل الميلاد كونت الاتجاهات والأسس العامة لاستمرار تطور الحضارة فيما بعد.

حرب طروادة :

وقعت تلك الحرب التى استمرت عشر سنوات ما بين ملوك المدن الإغريقية وأمرائها فى بلاد الإغريق الأم وبين برياموس ملك مدينة إليوس (Illios) الإغريقية فى آسيا الصغرى (أو Ellion أو Illium) والتى اشتهرت بين المؤرخين باسم طروادة نسبة إلى المنطقة التى تقع فيها ، وهى على بعد حوالى ٦ كم من مدخل بوغاز الدردنيل وتعرف حالياً باسم حصارليك (Hissarlik) بآسيا الصغرى، ومن اسم المدينة

(illios) اشتق اسم ملحمة هوميروس «الإلياذة» والتى تتناول بالوصف أحداث الأسابيع الأخيرة من السنة العاشرة والأخيرة لحصار طروادة، وبالرغم من ذلك فإن الباحث يستطيع أن يرسم صور الأحداث من خلال سرد الملحمة ، ففى الأساطير روى أن حفلاً إلهياً أقيم بمناسبة زواج حورية البحر ثتيس (Thetis) بالملك بليوس (Peleus) ، ودعيت إليه أسرة الآلهة الأولمبية وعلى رأسها زيوس (Zeus) ولم توجه الدعوة عن عمد إلى ربة النزاع أريس حتى لا تتسبب فى إفساد الحفل ، ولكنها قررت أن تثير النزاع بين المحتفلين بأية وسيلة ، فأحضرت تفاحة ذهبية كتبت عليها جملة «إلى أجملكن» وألقتها بين المدعوات من الآلهات ، فتنازعت التفاحة الذهبية كل من هيرا زوجة زيوس وابنته أثينا التى ولدت من رأسه ، وأفروديت ربة الحب والجمال وهى ابنة زيوس من ديونى.

وعندما اشتد الخلاف بين الربات الثلاثة طلبن الاحتكام إلى الإله زيوس، ،ولكنه تهرب من الموقف الحرج بأن أحالهن إلى من هو أكثر دراية بالنساء والجمال وهو باريس بن برياموس ملك طروادة.

وطلب زيوس من الإله هرميس (Hermes) رسول الآلهة أن يتوجه مع الربات الثلاثة رلى مقر باريس فى طروادة.

وتستمر الأسطورة فتتناول بعدئذ قصة ميلاد باريس فتذكر أن أمه الملكة هكابى رأت فى منامها أنها ولدت جمرة من نار تسببت فى

إشعال النار فى المدينة كلها وفسر الحلم بأنها ستلد أبناً يتسبب فى تدمير طروادة.

وتشاءم الوالدان من هذا المولود فأمر بأن يلقى على جبل إيدا (Ida) خارج طروادة، حيث عثر عليه راع للغنم فبناه وأسماه «باريس» وحاز شهرة بين الرعاة فى حماية القطعان من خطر الوحوش، فأطلقوا عليه أسم «الإسكندر» أى حامى الرجال، وعندما يعود مرة أخرى إلى طروادة يتعفر على أبويه ويعترفان به.

وفى يوم من الأيام وبينما باريس لا يزال فى جبل (إيدا» تهبط عليه الآلهات الثلاث ليحتكمن إليه. ولكى لا يواجهن الحرج، وهن آليات يحتكمن إلى بشر تقدمت إليه كلا منهن بعرض مغرى.

فوعدته هيرا بملك آسيا، ووعدته أثينا بالنصر فى كل الحروب، ووعدته أفروديت أن تهبه أجمل فى الدنيا ليتزوجها، فقبل باريس عرض أفروديت، وانتصرت بذلك على منافستها هيرا وأثينا، وحصلت بذلك على تفاحة أريس الذهبية.

وتحقق أفروديت لباريس وعدها فتصحبه إلى اسبرطة، وينزل باريس ضيفا على ملكها منلاوس، وفى قصره يتعرف على هيلينا زوجة مضيفه التى تقع فى غرامه وتهرب معه إلى طروادة مخلفة وراءها ابنتها الصغيرة وزوجا مجروحا فى كرامته الذى يضم إليه أخيه «أجاممنون» ملك موكيناى، وكان يعد أقوى ملك فى بلاد الإغريق

كلها، بالإضافة إلى ملوك وأراء مدن الإغريق الآخرين، وأخذوا يعدون لحملة بحرية للانتقام من باريس الخائن واستعادة هيلينا زوجة الملك منلاوس.

وقبيل إقلاع الحملة هبت رياح معاكسة أجلت الإقلاع، فاستعانوا بالعرافين لاستطلاع مشيئة لاآلهة واسترضائها، وقال أحد العرافين بأن سبب ذلك هو أن الإلهة أرتميس الصيذ ابنة زيوس وأخت أبولو التوأم غاضبة لأن الملمك أجاممنون قتل أثناء صيده غزالا محببا لديها، وأنها لن ترضى عن الإغريق ما لم يضحى الملك أجاممنون بابنته «إفيجينيا» على مذبح الإلهة.

وتحت ضغط زمائه من الملوك والأمراء ومنهم أوديسيوس وافق على التضحية بابنته، فأرسل فى طلبها متذرعا لها ولأمها «كلومينسترا» وهى أخت هيلينا بأنه سيزوجها من «أخيل».

ويصف هومير مشاعر الابنة وتوسلاتها، رغم تحجر قلب الأب وعدم تأثره بأى عاطفة من عواطف الأبوة عندما تساق الابنة لتنحر على مذبح الآلهة، بعد ذلك تهب الرياح المناسبة لإقلاع الحملة قاصدة طروادة.

أما ملحمة هومير الإلياذة فإن أحداثها دارت كلها حول بطل واحد اشترك فيالقتال مع ملوك وأمراء بلاد الإغريق ضد طروادة وهو أخيل أو أخيليوس، ولم تكن تتناول الحرب نفسها.

وأخيل هذا الذى كان بطلا يعادل ألف رجل كان محور أسطورة أخرى تقول بأن أمه جورية البحر «ثتيس» غطسته فى نهر أستوكس «styx» المقدس فى جنوب أركاديا لتحصنه ضد الأخطار ولتمنحه الخلود، ولكن الماء المقدس الذى غطس فيه لم يلمس كعبه الذيأمسكته منه أمه، فأصبح هذا الجزء من قدمه هو الموضع الوحيد الذى يمكن إصابه البطل أخيل فيه وقتله.

وخرج أخيل مع الحملة طمعا فى الشهرة والمجد، ويصوره هومير فى الإلياذة بأنه «رجل بلا أسرة» أى أنه لم يكن مرتبطا بزواج أو بأسرة، جسور يثور لكرامته بسبب يبدو لنا تافها، حينما اغتصب منه أجاممنون سبيه من السبايا التى غنمها خلال إحدى مراحل الحرب مع أهل طروادة قبل سقوطها، وانسحب متجنبا القتال، ولم تنفع لديه اعتذارات أجاممنون واستعداده لإصلاح الخطأ، وذلك حرصا على سلامة موقف الحملة الذى أخذ يهتز نتيجة لشدة هجمات الأعداء، . كما لم يستمع لرجاء أقرب أصدقائه «باتروكلوس» أقرب أصدقاء أخيل والذى استعار درع أخيل لمنازلة هكتور الطروادى، وهو الابن الأمكبر للملك بريامـوس، وتدور الدائرة على باتروكلوس، ويسقط قتيلا بيد هكتور الطروادى، هنالك فقط يصحو أخيل من سباته، ويقرر العودة إلى الميدان لينتقم لموت صديقه الحميم، ويصرع هيكتور ويمثل بجثته فيربطها إليع ربته الحربية، ويدور بها حول أسوار طروادة أمام أعين أفراد أسرته الذين كانوا يرقبونه من فوق الأسوار فى لوعة وأسى.

وأخيرا يفيق أخيل من هياجه، وتعود إليه آدميته عندما يقبل إليه من خلف الأسوار الملك «برياموس» والد هكتور الصريع، متوسلا أن يسلمه جثمان ابنه ليقوم بدفنه فى مقابل فدية يقررها أخيل بنفسه.

وبعد الحصار الذى استمر عشر سنوات بلا طائل عمل قواد الحملة على تجربة الحيلة، فاقترح عليهم أوديسيوس أن يتظاهر بالانسحاب، وفعلا أقلع الأسطول المهاجم مبتعدا عن المدينة تاركا فى أرض المعركة حصانا خشبيا كبير الحجم، يحوى جوفخه عددا من المحاربين الفدائيين الأشداء.

وانطلت الخدعة علىأهل طروادة فابتهجوا لفك الحصار، وفتحوا الأسوار، وأخذوا يجمعون الغنائم، وأعجبهم منظر الحصان الخشبى فسحبوه إلى اخل المدينة، وكانت الأميرة كاسندرا (Cassandra) ابنة الملك بريامـوس تتمتع بموهبة فذة وهى التنبؤ بالغيب ورؤية المستقبل التى وهبها إياها الإله أبوللو، ولكنه مع ذلك عاقبها بأن جعل الناس لا يصدقونها.

وانطلقت كاسندرا تحذر الناس من خطر الحصان الخشبى، ولكنهم سخروا منها وراحوا يحتفلون بالنصر بالرقص والإفراط فى الشراب.

وعندما نام المحتفلون من فرط التعب خرج المحاربون من جوف الحصان، وأشعلوا النيران فى المدينة، وفتحوا أبوابها ليدخل منها المهاجمون الإغريق الذين أخذوا يتدفقون داخل الأسوار يحطمون ويقتلون.

وتحقق حلم هكابى أم باريس، وحرقت المدينة بسببه وسقطت فى يد الأعداء وأصبحت هكابى نفسها سبية من نصيب أوديسيوس، وكاسندرا من نصيب أجاممنون، بعد أن قتل على يد نيوبتوليموس وهو ابن أخيل من عشيقته.

وتقع أندرماخى زوجة هكتور سبية في يد نيوبتوليوس، بعد أنت ألقوا بابنها من فوق الأسوار.

وأما الأمير باريس سبب البلاء كله فقد أيب بسهم أثناء الرصاع، فلجأ إلى زوجته الأولى طمعا فى مسادتها فى علاجة من الإصابة، ولكنها رفضت فتسببت الإصابة فى وفاته.

وتعود هيلينا إلى زوجها منيلاوس ملك اسبرطة دون أدنى محاولة من جانبه للانتقام متعللا بأنها مشيئة الآلهة.

أما أجاممنون ملك موكيناى وشقيق منيلاوس وقائد الحملة الطروادية فقد انتظرته لدى عودته مفاجأة مأساوية، ذلك أن زوجته الملكة كلومنيسترا أردات الانتقام منه بسبب إقدامه على التضحية بابنتها أفيجينيا حيث تهيء الآلهة الجو المناسب لخروج الحملة إلى طروادة، فكان أن اشتركت مع عشيقها فيقتل الملك أجاممنون زوجها.

أهم شخصيات الإلياذة:

تناول الشاعر الإغريقى هومير فى إلياذة شخصيات القصة وصورها بأشعاره، فأخرج للعالم عملا أدبيا زاخراً بالعواطف الإنسانية المتباينة.

وأهم هذه الشخصيات : ـ

١ ـ زخيل بطل الملحمة الشعرية كلها وصاحب القوة الجسدية الهائلة، الذى لا يقهر، ولكنه مات أخيرا بواسطة مسموم صوبة إلى كعبه اريس من فوقالأسوار، بعد أن أدى لقومه خدمات جليلة فى الحرب الطروادية، حيث استطاع أن يستولى على ١٢ مدينة كانت خاضعة لطروادة.

وصور هومير موقف أخيل المخزى عندما غضب من أجاممنون بسبب استئثاره بسبيه كانت من نصيبه، واعتزاله القتال فى أحراج الفترات ضاربا بكل شىء آخر عرض الحائط، معتقدا أنه أهين، ولم يستمع رليت وسلات صديقه المفضل باتروكلوس، وهو الذى عرض نفسه للموت فى منازله هكتور الطروادى، وعندما سقط صديقه باتروكلوس عاد أخيل لينتقم لصديقه، فصرع قاتله البطل الطروادى هكتور، ولم يكف بذلك بل أخذ يمثل بجثته على أشنع صورة فكأنما أخيل من إنسانيته، ولكن هومير يعود فيصور لمنا أخيل فى صورة إنسانية أخرى عندما يرق لتوسلات العجوز برياموس والد هكتور الصريع، الذى خرج من خلف أسوار طروادة يستعطف أخيل ليرد إليه جثة ابنه ليقوم بدفنها، ولم يتعرض أخيل للوالد المفجع بل إن الدمع فر من عينيه تأثرا من الموقف.

٢ ـ هكتور ابن بريامـوس ملك طروادة والأخ الأكبر لباريس هو بطل طروادة الأول، دافع ببسالة عن طونه وعن آل بيته لآخر رمق، عندما

خرج ليناززل أخيل الذى انتصر عليه ومثل بجثته، ويصوره هومير فى صورة تجمع بين البطول ة والاعتدال، قيل إنه من سلالة لعنتها الآلهة من قديم الأزل.

(جـ) إجاممنون ملك موكيناى الذى تزعم الإغريق فى حملتهم على طروادة.

(د) منيلاوس، ملك إسبرطة وزوج هيلينا التى هربت مع باريس رلى طروادة، يصوره هومير فى صورة رجل مغلوب على أمره بطىء الحركة ممل، وربما كان ذلك سبب هروب هيلينا منه.

(هـ) هيلينا «هيليينى» زوجة منيلاوس ملك اسبرطة وأخت زوجة أجاممنون وهى سبب اندلاع الحرب، صورها هومير فى صورة جميلة حقا، ذلك أن جمالها الخارق قد شفع لباريس عند أسرته وبين بنى وطنه الذين أخذوا بجمالها فعاملوها بالحسنى، وهومير يحاول تبرئه ساحتها ويرجع جريمتها إلى مشيئة إليهة، فهو يصورها بعد ذلك، وهى غريبة فى بلد غريب تبحث عمن يؤنس وحدتها، ويقف هكتور رلى جانبها وليس باريس كما هو متوقع، ثم تحن للعودة إلى وطنها وزسرتها وابنتها، وأخيرا تعود مع منيلاوس إلى وطنها بعد تدمير طروادة.

(و) أوديسيوس ملك جزيرة إيثاكا وتقع فى البحر الإيونى جنوب البحر الإدرياتيكى بالقرب من الشاطىء الغربى لبلاد الإغريق، يضعه هومير فى مكان العقل من الحملة الطروادية كلها، فهو مثال للذكاء

والدها وهو صاحب فكرة الحصان الخشبى، والتظاهر بالانسحاب مما يساعد أخيرا فى سقوط طروادة، يعطيه هومير مكانة ممتازة فى الإلياذة فقد كان رئيسا للوفد الذى حاول إقناع أخيل بالعدول عن الإضراب، ثم هو ضمن الحملة التى أرسلت ليلا لانتزاع تمثال العذراء أثينا من طروادة وأعطاه هومير دورا آخر عندما اقتتل مع إياس «اجاكس» على سلاح أخيل بعد أن قتله باريس بسهم فى كعبه، وحصل فعلا على السلاح، واشترك أيضا فى إحضار فيلوكيتس (Phiioctes) من جزيرة ليمنوس، وهو الذى اشتهر بالرمى بالسهم والقوس، عندما تنبأ العرافون بأن طروادة لن تسقط إلا بسهام هركليوس الذى يستطيع فيلوكيتس وحده أن يرميها، وكانت الحملة قد خلفته وراءها فى جزيرة ليمنوس عندما أصيب بلدغة ثعبان وفقد الأمل فى شفائه، ويعرف أوديسيوس باللاتينية باسم «أولوسيس» (Ulyseus) أو أوليكسيس. (Ulixes)، تزوج من أخت هيلينا المدعاة بنلوبى (Ponelope) وأخيرا هو بطل الإوديسة (Udyssea) وهى مجموعته مغامرات جمعها ونظمها هومير مستقلة عن الإلياذة.

* * *

نظام المدينة الدولة
مدينة اسبرطة ومدينة أثينا

أولا : اسبرطة (Sparta)

فى الفترة ما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد لعبت دولتان صغيرتان دورا هاما فى تاريخ بلاد الإغريق وهما اسبرطة وأثينا، ولعل فى تاريخ هاتين الدولتين ما يمكن أن يوضح التطور الحضارى لغيرهما من المدن الدول الإغريقية، أى يمكن اعتبارهما نموذجين صادقين لها.

فالمنطقة المحيطة بإسبرطة وهى لاكونيا فى جنوب البلوبونيز، تتكون من وادى خصب تحيط به الجبال من ثلاث جهات، وأما شاطىء البحر فى هذه المنطقة فهو غير صالح لإقامة الموانىء.

وفى العصر القديم ظهرت فى لاكونيا، مثلها فى ذلك مثل المناطق المجاورة كارجوليس وميسينيا مراكز حضارية موكينيه، ففى الإلياذة

ذكر أن لاكونيا كانت تضم اثنا عشرة عشيرة مختلفة، خضعت كلها للملك الأسطورى منيلاوس (Menelaos) وكان سكان اسبرطة القديمة يؤلفون واحدة من تلك العشائر الأصلية.

وعندما قام الدوريون فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر قبل الميلاد بغزو البلوبونيز توغلوا ودخلوا أيضا إلى المناطق الجبلية المحيطة، ويحتمل أن مدينة اسبرطة القديمة تعرضت للتدمير أثناء غزو الدوريين، أما المدينة التى حملت هذا الاسم فيما بعد والتى قامت على شاطىء نهر بروتاس (Borotas) وكشفت عنها الحفائر الأثرية فيما بعد فأنها أقيمت فى القرن التاسع قبل الميلاد، نتيجة لاتحاد عشيرتين إحداهما دورية والأخرى آخية، وسوف يظهر فيما بعد متمثلا فى الأسرتين اللتين حكمتا اسبرطة معا، والتى ترجع إحداهما إلى الأصل الدورى والأخرى للأصل الآخى، وبعد أن تمكن الدوريون من احتلال لاكونيا حتى شاطىء البحر حاربوا بإصرار للاستيلاء على المناطق المحيطة بنهر بروتاس (Burotas) مثل كنوريا (Kynuria) فى الشرق ومسينيا (Messenia) الغنية فى الغرب وقد بدأ احتلال مسينيا (Messenia) فى القرن الثامن واستمر حوالى قرنا من الزمان واضطر الإسبرطيون لخوض معركتين كبيرتين لإخضاع أهلها، وكانت نتائجها غاية فى الأهمية، لأن معظم أهالى مسينيا تحولوا إلى هيلوت أى تابعين وأنصاف عبيد (Helot) بلا أدنى حق فى أراضيهم، وفى السادس قبل الميلاد استطاع الإسبرطيون الاستيلاء على كنوريا أيضا.

ولم يختلف النظام الاجتماعي والاقتصادي في اسبرطة عنه في أي منطقة أخرى من بلاد الإغريق حتى زمن الحروب المسينية، عندما كانت تحكم البلاد طبقة ارستقراطية، ولكن نتيجة للحروب المسينية وازدياد أعداد الناس الخاضعين للإسبرطيين طرأ على تلك المدينة - الدولة تغيرات كبرى في نظامها الاجتماعي وظهر نظام مجتمع الأنداد، وكان يعتمد في اقتصاده أساساً على الزراعة ذلك أن الأرض الزراعية قسمت إلى قطع متساوية تسمى إقطاعيات كليروى (Kleroi) ووزعت على الأسر الإسبرطية لاستغلالها على أساس أن لهم الحق في إعادة تقسيمها أو التصرف فيها.

وكان امتلاك إقطاعية (Kleros) شرطا أساسيا لحق المواطنة بين الطبقة الحاكمة، أما تلك الإقطاعيات (Kleroi) فلم تزرع بواسطة الإسبرطيين الذين انشغلوا طوال الوقت بالحروب، وإنما كان يفلحها الهيلوت (Helots) وعلى خلاف ما كان موجودا في بلاد الإغريق من أنواع العبودية فإن الهيلوت لم يكونوا ضمن ممتلكات الأفراد الإسبرطيين، وإنما من ممتلكات الدولة، وكانوا يقيمون فوق قطعة الأرض المكلفين بفلاحتها مع عائلاتهم، ويتمتعون بنصيب من الحرية، ولكن كان يشترط عليهم أن يقدموا لمالك الأرض قسطا حددته الدولة من إنتاج الأرض يصل إلى نصف المحصول، ولم يكن لصاحب الأرض أن يطالب الهيلوت الذي يتبعه أن يمده بأكثر من ذلك، وكان امتلاك الهيلوت حق للدولة التي عينت موظفين للإشراف عليهم، فرغم أن مالك الأرض كان يحتفظ فوق أرضه بعدد من الهيلوت فلم

يكن له حق التصرف فيهم بالبيع أو القتل بيد أن الهليوت قاسوا كثيرا على أيدى الإسبرطيين فقاموا بثورات، مما دفعهم إلى التعرض لمذابح جماعية (Kryptia)، حتى أنه سمح للشباب الإسبرطى أحيانا بأن يقوموا بالتدريب على القتال مستخدمين هؤلاء الهيلوت كأهداف.

أما ممارسة التجارة والأعمال اليدوية كالصناعات الحرفية فلم تكن ضمن ما كان مسموحا به للإسبرطيين حسب قوانينهم، فقد كان يقوم بها طائفة من السكان خاضعة للمواطنين الإسبرطيين يطلق عليهم البريوكين (Perioken) وكانو أحراراً فى الواقع ولكن حرمت عليهم ممارسة الحقوق السياسية، ولاشك أن جزءا منهم كان يعيش فى مناطق الحدود من قبل، حيث سمح لهم بامتلاك الأراضى والمتاع فى شكل ممتلكات خاصة، على خلاف ما كان مسموحا به للإسبرطيين أنفسهم، وكان عليهم واجب تأدية الخدمة العسكرية.

النظام السياسى فى إسبرطة:

كان الإسبرطيون هم أصحاب الحقوق الكاملة، وهم أعضاء مجتمع الأنداد، والواقع أن المساواة بين الإسبرطيين أنفسهم كانت مجرد شعارات فقط، إذ كانت بينهم وبين بعضهم البعض فوارق ودرجات متفاوتة، إلا أن السلطة دائما كانت فى أيدى أفراد الطبقة الأرستقراطية.

حقيقة إن لكل إسبرطى راشد الحق فى الترشيح للبرلمان أو للمجلس الشعبى الذى يدعى أبللا (Apella)، ويعد أعلى سلطة فى البلاد من

الناحية الشكلية، إلا أنه من الناحية العلمية البحتة لم يكن له دور فعال في الحياة الاجتماعية وكان هذا المجلس يدعى للاجتماع بواسطة الملوك أنفسهم، وبطبيعة الحال فإن الإسبرطيين العاديين لم يعطوا الفرصة لتقديم شيء من الاقتراحات، لإلقاء الخطب ولكنهم كانوا يعبرون عن رأيهم في مقترحات الملوك أو مجلس الشيوخ (Gerusia) عن طريق هتافات الاستحسان أو الاستنكار وفي الحالات ذات الأهمية الخاصة كانوا يقترعون على الطريقة القديمة بأن يتوجه الموافقون نحو اليمين بينما يتوجه المعارضون نحو اليسار.

وعلى رأس النظام كله ملكان كل منهما ينتمي إلى أسرة ملكية قديمة، وكانا يقودان الجيوش ويلعبان دورا هاما في المعتقدات الدينية، إلا أن سلطتهما كانت محدودة نظرا لوجود مجلس الشيوخ (Gerusia) الذي كان يتألف من الملكين بالإضافة إلى عدد ٢٨ فردا من المواطنين الإسبرطيين ذوي النفوذ على أن يكون سنهم فوق الستين عاما، والذي يتم اختيارهم بواسطة المجلس الشعبي لمدى الحياة، وكان يحدث أحيانا أن يتفق الملكان ومجلس الشيوخ على أن البرلمان «المجلس الشعبي» يمكن أن يسيء إلى البلاد في ظرف من الظروف وفي هذه الحالة كان يتم حله.

ولقد نشأ في إسبرطة مؤخرا نظام آخر للإدارة، يتألف من خمس أفراد منتخبين ـن مجلس الشعب، يطلق عليهم مجلس الخمسة.

(Ephoren) وكانوا يحصلون على سلطات واسعة، فقد كان لهم الكلمة الفصل عندما يحدث خلاف في الرأى بين الملكين، ولهم الحق فى شكوى أو تقديم الملكين للمحاكمة أمام مجلس الشيوخ، كذلك من حقهم إيقاف أو رفع قرار للملكين سبق اتخاذه، وفى ميدان القتال كان كل ملك يتبعه أثنان من تلك الهيئة، وكان لهما الحق فى استدعاء كل من البرلمان أو مجلس الشعب (Apella) ومجلس الشيوخ (Gerusia) وكان لهما رئاسة المجالس، وكانت السياسة الخارجية للدولة الإسبرطية ضمن مسئوليتها، ولهما رئاسة المحاكم القضائية فى حالات معينة، ومراقبة تصرفات المواطنين الإسبرطيين، وفى تاريخ إسبرطة الكثير من أمثلة الصدام بين الملوك، وبين مجلس الخمسة هذا (Ephoren) ويذكر المؤرخون أن عدد الإسبرطيين ذوى الحقوق الكاملة لم يتعد ١٠ ٪ من مجموع سكان الدولة، وربما بلغ عددهم حوالى تسعة آلاف أسرة فقط.

قوانين المشرع (Lykurgus) لكورجوس.

تذكر الرواية أن قوانين اسبرطة من صنع شخص أسطورى يدعى لكورجوس، ولكن الواقع أن معظم تلك القوانين لها جذور قديمة فى البلاد وطبقا لتلك القوانين فإن المواليد المشوهين خلقيا كان يتم قتلهم.

وكان المواليد من سن السابعة إلى سن العشرين يوضعون فى مؤسسات حكومية لتربيتهم تربية عسكرية قاسية، ليصبحوا محاربين،

فإذا ما بلغ المواطن الإسبرطى سن الرشد منح حقوق المواطنة وسمح له بالانضمام إلى أقسام الجيش، ويظل فيه حتى يبلغ من الكبر عتياء، وكان التعامل بينهم يتم عن طريق النقود الحديدية، لأن ندرة معدن الحديد زادت من قيمته حينذاك، وبالنسبة لأماكن الإقامة فكان يسمح لهم ببناء منازل بأبسط الوسائل خالية من وسائل الترف تماماً.

ويلاحظ أن اللغة الإسبرطية قد تأثرت كثيرا بتلك التربية العسكرية، وكان على المواطن الإسبرطى أن يمضى الجزء الأكبر من حياته فى مجموعات مع رفاقه فى الجيش.. ولاشك أن هذا النظام الصارم ساعد على إتمام السيطرة على العمال الهيلوت (Helot) وعلى إخماد ثوراتهم المتكررة، و ينبغى أن يوضع فى الاعتبار، تأثير ذلك على تفكير الإسبرطيين أنفسهم.

ثانيا : أتيكا (Attika)

فيما بين القرن الثامن والقرن السادس قبل الميلاد: تأثيث دولة أثينا.

يختلف إقليم أتيكا (Attika) من حيث طبيعة أرضه كثيرا عن إقليم لاكونيا فى جنوب البلوبونيز، حيث أزدهرت إسبرطة، فهو ذو طبيعة جبلية فيما عدا بعض الوديان الضيقة التى يمكن فيها زراعة بعض المحاصيل وعلى الأخص الزيتون والعنب، كما اكتشفت فيه مناجم

للفضة ومحاجر للمرمر وغيره من أحجار البناء، وكذلك ساعدت جودة مرافئها على نشأة صناعة هامة لبناء السفن.

ومنذ أقدم العصور ومنطقة أتيكا مأهولة بالسكان، وأقدم الآثار التى عثر عليها هناك ترجع إلى العصر الحجرى الحديث، وخلال الألف الثانى قبل الميلاد كانت منطقة أتيكا مركزا من مراكز ازدهار الحضارة الموكينية، ولم يؤثر عليها غزو الدوريين فيما بعد.

ولقد حدث تجمع السكان من حول أثينا بالتدريج خلال فترة طويلة من الزمن، ولعل تجمعهم قد انتهى فى القرن السابع قبل الميلاد، أى بعد انتهاء عصر حكم الملوك بفترة طويلة، وانتقل الأثينيون إلى نظام حكم مجموعة التسعة الكبار أو الشيوخ التسعة.

وتقول الأسطورة أنه عندما مات الملك كادروس (Cadrus) خلال صراعه لصد الدوريين أعلن السكان أن أحدا لا يصلح خلفا له، فاستبدلوا بالملك أرخونا (Archon) أى حاكما يتم اختياره ليتولى السلطة مدى الحياة فى بداية الأمر، وفى عام ٧٥١ حددوا مدة حكم الأرخون بعشر سنين ثم بسنة واحدة، ثم قسموا المنصب بين تسعة، وهم الذين ألفوا مجلس التسعة الكبار المذكور.، ومع إن دستور أثينا ظل محتفظا بلقب ملك حتى آخر مراحل تاريخ أثينا إلا أن الملكية فى جوهرها قد أصبحت فى حكم الماضى.

وكان يطلق على هؤلاء لقب الأوليجارك أى الأشراف (Euparid Oligarchs).

وهكذا كان الأرخون (Archon) يختار من بين طبقة الإغريق الأرستقراطية، وبعد انتهاء مدته ينضم إلى الأريوباج (Areopag)، وكان في الأصل عبارة عن مكان يحمل هذا الاسم (تل خاص بالإله أريس Ares) وتعقد فيه أجتماعات تلك الهيئة التى أطلق عليها مجلس الشيوخ.

وفى ذلك العصر كانت أتيكا مقسمة إلى ٤٨ قسما صغيرا، كان على كل قسم أن يقوم بتجهيز مركب حربى للقتال ضمن أسطول أثينا بكل ما يحتاجه من سلاح ورجال.

وقد كان الأساس الاقتصادى الذى قام عليه حكم الطبقة الأرستقراطية فى أثينا يعتمد فى جوهره على سيطرة أفراده على الأرض وعلى الممتلكات.

وقد وصف أرسططاليس (Arestatoles) العالم الفيلسوف الذى عاش فى أثينا فى القرن الرابع قبل الميلاد وتتلمذ على يد أفلاطون (Plato) حتى موت أفلاطون أحوال أتيكا فى ذلك الوقت قائلا «كان الفقراء يعملون فى خدمة الأغنياء مسخرين هم وأطفالهم وزوجاتهم وأصبحوا مسخرين أجراء ويدفعون ٦/٥ من المحصول لصاحب الأرض» وفى سبيل الأجر الزهيد كانوا يقومون بفلاحة الأرض للأغنياء.

وفى خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد حدثت تطورات هائلة فى داخل بنيان المجتمع الأثينى، ذلك أن أعداد الحرفيين وعمال

الموانى والبحارة ازدادت إلى حد كبير، ومن الناحية الأخرى فقد الكثير من المزارعين أراضيهم فتكون بذلك ما يعرف باسم الشعب (demos)، الذى ظهر لأول مرة بشكله المعروف فى التاريخ الإغريقى.

وحاولت الطبقة الحاكمة الوصول إلى أهدافها عن طريق المشرع دراكون (Drakon) عام ٦٢١ قبل الميلاد، والذى وضع قوانينا صارمة متطرفة، ويوجد فى بعض اللغات الأوربية إصطلاح القوانين الدراكونية نسبة إلى دراكون هذا ويقصد بذلك القوانين الصارمة.

إصلاحات صولون (Solon):

إلا أن انتصارا كبيرا لشعب أثينا قد تم فى عام ٥٩٤ قبل الميلاد عندما وضعت إصلاحات صولون (Solon) موضع التنفيذ، وصولون هذا من عائلة أرستقراطية، إلا أنه أصيب بالإفلاس فلجأ إلى التجارة، وخلال ممارسته لتلك المهنة تنقل بين كثير من المدن وأقام بها وانتخب أرخونا (Archon) لمدة ٢٥ عاما، واعتزل الحكم عام ٥٧٢ فى سن ٦٦ ثم أخذ فى الترحال إلى مصر والشرق القديم، ولعل نشأة صولون الأولى هى السبب فى اتخاذ ذلك الموقف الصلب من الطبقة الأرستقراطية حتى يضمن الرخاء والازدهار لأثينا فجعل هدفه إرضاء العامة، ومن أجل ذلك شرع الآتى:

١ ـ إلغاء ديون الفلاحين الأجراء لأصحاب الأرض، وتحرير من وقع عليه العقاب بالسخرة نتيجة التأخير فى سداد الدين، كذلك تحرير من استرق وبيع نتيجة العجز فى سداد الديون.

٢ ـ أطلق حرية التوريث بوصية إذا لم يكن للشخص وريث شرعى، بعد أن كانت ممتلكات مثل هذا الشخص تحول تلقائيا لتضم إلى أملاك الأقارب.

٣ ـ قسم مواطنى أثينا بغض النظر عن أصلهم إلى أربعة طبقات حسب دخلهم من الحبوب متخذا من المدمنوس (Medimnos) وحدة لذلك.

١ ـ الطبقة الأولى: ذات دخل من الأرض يصل إلى ٥٠٠ ميدمنوس الطبقة الثانية: ذات دخل من الأرض يصل إلى ٣٠٠ ميدمنوس أويمتلك حصانا.

(جـ) الطبقة الثالثة: ذات دخل من الأرض يصل إلى ٢٠٠ ميدمنوس.

(د) الطبقة الرابعة: ذات دخل من الأرض أقل من ٢٠٠ ميدمنوس.

والطبقات أ، ب يتمتع أصحابها بكل حقوق المواطنة، وكان على أصحابها التزامات غاية فى الأهمية، فالطبقة الأولى (الملتزمون تجاه الدولة Liturgien) كان عليها أن تبنى سفنا وتقيم الاحتفالات فى المناسبات المختلفة على نفقتها، والطبقة الثانية كان أفرادها يخدمون كفرسان فى الجيش، أما الطبقة الثالثة فكانت محدودة الحقوق، وغير مسموح لأفرادها بالوصول إلى مجلس الأريوباج (Areopag) ولا أن

ينتخبوا كحكام (Archon)، ولكنهم خدموا فى الجيش كمشاة ثقيلة التسليح.

والطبقة الرابعة تمتع أفرادها بحق انتخاب أعضاء البرلمان، ولكن لم يسمح لهم بالترشيح لعضويته، وكانوا يخدمون فى الجيش كمحاربين بأسلحة خفيفة.

٤ ـ وتناولت إصلاحات صولون أيضا النواحى العسكرية، فأنشأ مجلس (الأربعمائة عضو) الذى تألف من انتخاب مائة عضو من كل حى (Phyle) من الأحياء الرئيسية التى تتألف منها أثينا، وقام هذا المجلس الجديد بأعبائه إلى جانب المجلس القديم الأريوباج (Areopag) ولكنه كان يختلف عنه فى نقطة هامة: فبينما كان لا يسمح بدخول المجلس القديم الأريوباج إلا لأعلى طبقات المجتمع، سمح للطبقة الرابعة ذات الدخل الأقل من ٢٠٠ ميدمنوس بالترشيح للدخول كأعضاء فى (مجلس الأربعمائة)، وظلت السلطة العليا فى يد الأريوباج حيث تولى الإشراف على الشئون العليا للدولة، وكان بمثابة محكمة عليا وربما كان (مجلس الأربعمائة) يتولى هذه السلطات فى الفترة الواقعة ما بين انتهاء مدة البرلمان القديم وبين انتخاب البرلمان الجديد.

وذكر ارسطاليس (Ariestoteles) أيضا أن صولون هو الذى أمر بإنشاء المحكمة الشهيرة فى أثينا وكان يطلق عليها أسم (Heliaia)، واعتبر ارسطاليس اشتراك الطبقة الرابعة فيها من انتصارات صولون الديمقراطية.

الطاغية بسستراتوس (Peisistratos)

لا جدال فى أن مدى تقبل طوائف المجتمع الأثينى لتشريعات صولون قد اختلف، وكانت الطوائف تنقسم من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كالأتى:

١ ـ سكان السهل: وهم الذين سيطروا على أغنى الأراضى وهم كبار الملاك المنتمون إلى الطبقة الأرستقراطية.

٢ ـ سكان الجبل: أصحاب الأراضى الرديئة ـ المنتمون إلى الطبقة الديمقراطية.

(جـ) سكان السواحل: ومعظمهم من التجار والعمال.

ونتيجة للصراع الذى احتدم بين تلك الطوائف حدث انقلاب فى أثينا عام ٥٦٥ قبل الميلاد معتمدا على أفراد الطبقة الأولى الأرستقراطية وعن طريقها وصل بسستراتوس (Peisistratos) إلى قمة السلطة وسيطر على قلعة أثينا المقامة على هضبة الأكروبوليس، ثم طرد ولكنه عاد مرة أخرى بمساعدة جيش من المرتزقة معتمدا فى هذه المرة على تأييد المزراعيين، واستمر فى الحكم حتى عام ٥٢٧ قبل الميلاد، ولكى يكسب رضاء الجماهير وجه كل سياسته ضد الطبقة الأرستقراطية ولصالح صغار ومتوسطى المزارعين، واحتفظ بدستور صولون، مما أضاف إليه قوة كبيرة، وفى الواقع إن أثينا فى ذلك الحين كانت فى أشد الحاجة إلى شخص حازم قوى البأس مثل بسستراتوس

(Peisistratos) الذى واصل العمل على تحرير الناس وحل مشاكلهم الزراعية، فأمر بتوزيع الأراضى الحكومية على الفقراء المعدمين مما أزاح كابوسا ثقيلا عن كاهل أثينا لفترة طويلة من الزمان، ذلك أنه أوجد أعمالا كثيرة أيضا للأيدى العاطلة فى مشروعات الدولة الكثيرة مثل بناء المعابد وتمهيد الطرق واستخراج الفضة، وراجت التجارة على أيامه وظهر الثراء على البلاد.

وهكذا أصبحت أثينا من أشهر بلاد الإغريق، ولازال معبد البارثينون معبد الإلهة أثينا على هضبة الأكروبولس فى مدينة أثينا يحتفظ بتسجيل لعيد المعبودة أثينا الذى أصبح أيام بسستراتوس عيدا قوميا لبلاد الإغريق كلها، وهو الذى زين معبدها بأن أضاف إليه رواقا دورى الطراز، كما بنيت معابد جديدة وشبكة مياه للمدينة وأصبحت أثينا مركزا لجذب الفنانين والمهندسين والشعراء والممثلين.

وكان بسستراتوس قد أعلن ديانة ديونيسوس (Dionysos) ديانة رسمية للبلاد، وفى عهد بسستراتوس انتهجت أثينا سياسة خارجية موفقة أيضا، حيث سيطر الأثينيون على مدخل الدرنيل من الضفتين مما كان له أثر على تطور التجارة الأثينية مع موانىء البحر الأسود وفى تطور الاقتصاد الأثينى عامة.

وفى عام ٥٢٧ قبل الميلاد مات بسستراتوس، وانتقل الحكم إلى ولديه هيبياس (Hipias) وهبارخ (Hipparch) اللذين لم يستطعيا المحافظة على الحكم طويلا إذ قامت فى أثينا حركة ضد حكم الطغاة

عموما، وفى ٥١٤ قبل الميلاد اغتيل هبارخ وطرد هيبياس ٥١٠ من أثينا بمساعدة إسبرطة، وحاولت الطبقة الأرستقراطية أن تمسك بالسلطة لتعيد النظام القديم، إلا أن ثورة حالت دون ذلك، وفى نفس الوقت كانت على أثينا أن تحارب حلفاء الطبقة الأرستقراطية من البؤتين والخلقدونيين، كما فشلت محاولة جديدة لإسبرطة للهجوم على إقليم أتيكا.

إصلاحات كلايسثينس (كلايستين) (Kleisthenes)

ومما أكد الانتصارات لشعب أثينا وصول كلايسثينس

(Kleisthenes) إلى السلطة على رأس الديمقراطية الأثينية، وكان أهم إصلاح له إعادة تقسيم المواطنين الأثنيين على أساس المساحة الجغرافية، حيث قسمت مساحة إقليم أتيكا والمنطقة السكنية بمدينة أثينا إلى ثلاثين قسما (Trityen)، كل ثلاث أقسام منها تؤلف حيا جديدا.

(Phyle) كان يتألف من مواطنين من مختلف أنحاء المدينة، وبذلك انتقل مركز الثقل إلى سكان الساحل وعلى الأخص سكان المدن منهم، وهكذا انتظمت الحياة الجديدة فى شكل مجموعات أكبر تسمى.

(Demen) والتى كانت تعد أصغر وحدة إدارية تمتعت بقدر من الحكم الذاتى.

وأن المعنى التاريخى لهذا الإصلاح يتجلى فى تجنب التقسيم الأرستقراطى القديم وعزل الطبقة الأرستقراطية بعد أن سحب منها هذا التشريع نفوذها السابق فى المجلس الشعبى.

ونتيجة لإصلاح كلايستينس (Kleisthenes) حل مجلس الأربعمائة وظهر بدلا منه مجلس الخمسمائة وانتخب له رجلا من كل حى من الأحياء العشرة وأسندت السلطة إلى هذا المجلس الشعبى (البرلمان) ولا يجوز له أن يناقش موضوعات جديدة خلاف ما يقدم إليه من مجلس الخمسمائة، وكان على مجلس الخمسمائة أن ينفذ كل قرارات المجلس الشعبى أى البرلمان بل ويتخذ القرارات فى فترة ما بين انتهاء صلاحية المجلس القديم وبداية فترة انعقاد المجلس الشعبى.

وبالإضافة إلى ما تقدم أنشأ كلايستين جهازا جديدا يدعى مجمع المديرين الأستراتيجوس أو القادة ويتألف من عضو منتخب من كل حى.

(Phyle) وفى بداية الأمر كانت مهامهم معظمها عسكرية ولكنهم فى النهاية أمسكوا بالسلطة التنفيذية العليا فى أيديهم.

وذكر أرتسطاليس أن عدد المواطنين الأثينيين قد ازداد كثيرا فى زمن كلايستين.

ومن أجل الحفاظ على النظام الجديد ضد ضربات أعدائه أنشئت محكمة الأستراكسموس (Ostrakismos) (معناها الحرفى محكمة قطع الفخار المكسورة) وكانت الأستراكسموس بمثابة اقتراع سرى بدون فيه كل من له حق التصويت على قطعة الفخار اسم شخص يجد أن فيه خطرا على النظام القائم، وإذا ما تكرر اسم شخص ستة آلاف مرة عند

حصر الأسماء فإنهم كانوا يحكمون عليه بالنفى لمدة عشر سنوات بدون أن يجردوه من أملاكه فيما بعد استغلت محكمة الأستراكسموس كثيرا فى المنازعات السياسية حيث لجأ السياسيون ذوى المجموعات المنتصرة إلى التخلص من منافسيهم وأعدائهم بهذه الطريقة.

قد أنهت إصلاحات كلايستين صراعا دار بين الطبقة الأرستقراطية وبين الشعب الأثينى استمر أكثر من مائة عام وخلال هذه المرحلة الزمنية التى نحن بصددها (من القرن الثامن وحتى القرن السادس قبل الميلاد) تكون فى المجتمع الاثينى الطبقتان الرئيسيتان وهما طبقة السادة وطبقة العبيد.

* * *

العصر الكلاسيكى للإغريق
القرن الخامس

الحرب الإغريقية الفارسية

خلال القرن السادس قبل الميلاد وقعت فى آسيا أحداث كان لابد أن تؤثر فى وحدة العالم الإغريقى ففى عام ٥٦٠ قبل الميلاد اعتلى عرش مملكة ليديا فى النصف الغربى من آسيا الصغرى حاكم مازال اسمه مألوفا، هو الحاكم الأسطورى كروسوس (Croesus) وقد نجح فى إخضاع إغريق منطقة إيونيا فى آسيا الصغرى، لكنه كان رجلاً هيلينياً متحضراً اقتنع بأن يحكم تلك المدن ـ الدول الإغريقية من خلال حكام مواليين له (Tyrannoi).

وفى نفس الوقت تقريبا جلس على عرش مملكة ميديا (Media) فى بلاد النهرين وقام بغزو بابل، التى كان يحكمها ابن الملك البابلى

المشهور نبوخذ نصر (الذى قهر اليهود من قبل)، وأخذ قورش يستعد للتعامل مع جارته الإغريقية مملكة ليديا القوية فى الغرب، وكانت كلتا الدولتين قد دخلتا من قبل فى زمن سلف كلا من قورش وكروسوس، تلك الحرب التى قيل عنها أنها انتهت بكسوف الشمس، مما جعل الجيشان يرفضان مواصلة القتال، وكان هذا هو الكسوف الذى تنبأ به تاليس المالطى (Talys Of Miletus)، ولكن الحرب الثانية بدأها ملك ليديا كروسوس بعد أن استشار «وحى دلفى» الذى كان له عظيم الاحترام، هنالك أوحى أنه إذا ما عبر نهر هاليس (Halys) الذى يكون الحدود بينه وبين قورش الفارسى، فإنه سوف يتسبب فى تدمير إمبراطورية قوية ولكنها كانت إمبراطوريته هو أى مملكة ليديا، ذلك أن ملك ليديا نسى أن يسأل الوحى، أى إمبراطورية منهما سوف يتسبب فى تدميرها وقد ذكر فى تفسير المقصود من وراء تضليل الوحى لملك ليديا أن سياسة الوحى فى دلفى هى أن يدخل الملكان كروسوس وقورش فى حرب طويلة لصالح بلاد اليونان وبانتصار الفرس على مملكة ليديا عام ٥٤٨ قبل الميلاد أصبحوا يقفون على أبواب المنطقة الإيجية.

وتعد رواية المؤرخ هيرودوت لهذه الأحداث من أهم أجزاء كتابه الذى ضمنه عددا من الفصول الشيقة، مثل ميلاد قورش وملخصها أنها ولادة الطفل المعجزة التى قررت الآلهة ميلاده ليقوم بأعمال هامة، ولقد حاول البعض أن يعوق أو يوقف تحرك الأحداث بقتل الطفل، لكن

المحاولة فشلت وتحققت النبوءة، أما الشكل الإغريقى للقصة فيتمثل فى أسطورة ميلاد أوديب (Oedipus _ myth) .

ومن الطريف حقا مقارنة ميلاد قورش الذى قصها هيرودوت برواية صديقه سوفوكليس «أوديب ملكا» (Oedipus _ rex) التى تبدو فى جوهرها واحدة، ولكنها لدى سوفوكليس لها مغزى آخر.

وهناك عند هيرودوت أيضا قصة اللقاء بين كروسوس الأثينى وبين صولون التى تلقى الضوء على نوعية الفكر الإغريقى، ففى خلال رحلات الفيلسوف الإغريقى صولون دعاه الملك كروسوس، حيث عرض عليه مدى ضخامة ثروة الملك التى ضرب بها الأمثال، وبعدها وجه كروسوس الحديث إلى صولون قائلا: صولون، أنا أعرف عن مدى شهرتك كفيلسوف وإنك سافرت وشاهدت الكثير قل لى: من هو أسعد إنسان قابلته؟!

ويذكر هيرودوت أن الملك كان يظن نفسه أسعد خلق الله، ولكن صولون رد بلا تردد قائلا «أن تيلوس الأثينى» (tellus) هو أسعد الناس، لأن تيلوس عاش فى مدينة حرة إدارتها حسنة ولديه أبناء شجعان طيبون وقد رأى ميلاد أحفاده أصحاء، وبعد حياة سعيدة بقدر ما تسمح به طبيعة الإنسان مات وهو يقاتل ببسالة من أجل أثينا ضد عدوتها إليوسيس. (Eleusis) ودفن مكرما، وأصبحت ذكراه مقرونة بالامتنان والتقدير، ثم سأله كروسوس عمن يأتى بعده كثانى أسعد الناس، أملا أن يأتى ذكره فى هذا الدور، فقال صولون هو كليوبيس

وبيتون من أرجوس. (Cleobis, Biton) وهما شابان مقتدران ماديا، لهما انتصارات فى بطولات رياضية وكانت نهايتهما نهاية مميزة إذ كان على والدتهما أن تركب إلى معبد هيرا على بعد خمسة أميال لحضور احتفال، وعندما لم تكن الثيران قد عادت من الحقل فى موعدها لتقوم بجر العربة كالمعتاد، قام الولدان بجر العربة بنفسيهما وأوصلا أمهما لحضور الاحتفال فى الموعد، واستجابت الآلهة لصلاة الأم، فبعد تقديم التضحية وفى نهاية الاحتفال نام الابنان نومة هادئة فى المعبد ولم يستيقظا مرة أخرى.

وابتأس الملك كروسوس عندما علم أنه أقل سعادة من المواطنين العاديين، ولكن صولون أشار إلى أن الإنسان يحيا أيام عديدة وكل يوم يأتى بجديد ولذلك لا يمكن أن تقول أن هذا الإنسان سعيد إلا بعد وفاته ولم تنته القصة عند هذا الحد، فبعد عدة سنوات حدثت مفاجأة متوقعة، إذا هزم الملك كروسوس ووقع أسيرا فى يد الملك قورش، وقيده قورش ووضعه فوق محرقه ليحرقه حيا ليوفى عهدا قطعه، أو ليرى ما إذا كانت الآلهة ستتدخل لإنقاذ رجل متدين مثل كروسوس، وعندما أضرمت النار فى المحروقة تذكر كروسوس أقوال صولون، فصرخ باسمه ثلاث مرات، ولما سألوه عن السبب أخبرهم بالقصة، عندما تراجع قورش وأمر متأخرا بإطفاء النار.

ولما كان ذلك متعذرا، نادى كروسوس الإله أبوللو لينقذه، عند ذلك تجمعت السحب فى المساء وهطل المطر ليطفىء النار، وهكذا أصبح

الملكان صديقين، وانتهت القصة بنصيحة يعطيها الملك كروسوس للملك قورش فى كيفية حكم الشعب الميدى (الفارسى)، وهذه هى الطريقة التى اتبعها هيرودوت فى كتابة التاريخ.

وفى عام ٤٩٩ قبل الميلاد ثارت المدن اليونانية فى آسيا الصغرى ضد الملك الفارسى داريوس، ويذكر هيرودوت بهذه المناسبة كيف توجه أرستاجوراس (Aristagoras) حاكم (طاغية) ميليتوس (Miletus) إلى كليومينيس (Cleomenes) ملك إسبرطة طالبا المساعدة ضد الفرس ولكنه لم يجد عنده أذنا صاغية، إلا أن أثينا أرسلت إليه عددا من السفن وكذلك فعلت إريتريا فى إيونيا، واشتركت كلها فى حصار مدينة ساردس عاصمة ليديا، إلا أن الثورة على الفرس أخفقت، وأصبح واضحا للفرس أنهم لن يستطيعوا المحافظة على هدوء الإغريق فى إيونيا بآسيا الصغرى بدون أن يستعيدوا قوتهم عبر البحر الإيجى فأرسلوا حملة حربية سنة ٤٩٠ قبل الميلاد لتأديب المدينتين اللتين اشتركت قواتهما فى الثورة اليونية على حكم المستعمر الفارسى، ورست القوة الفارسية على الشاطىء الشرقى لإقليم أتيكا عند ماراثون وقد أحضر الفرس معهم ابن الطاغية الإغريقى بيزستراتوس المدعى هيباس الذى طرد من أثينا منذ عشرين عاما لكى يعين طاغية (حاكم مطلق) تحت الحماية الفارسية.

وبقوة صغيرة تتألف من ألف رجل من بلاتيا اضطر الإثينيون لمواجهة الفرس وحدهم ومع ذلك انتصروا بعد أن ضحوا بمائة وأثنين

وتسعين رجلا، وقد اشترك فى القتال الكاتب المسرحى اسخيلوس، وعندما عاد اكمل كتابيه (الفرس) و (وسبعة ضد طيبة) وغيرهما.

وكان واضحا أن الفرس سوف يعيدون الكرة، ولحسن حظ الإغريق أن مصر التى كانت تحت سلطان الفرس حينذاك قد ثارت، ثم شغلت وفاة الملك داريوس (دارا) الفرس لمدة عشرة أعوام، وكانت تلك السنين العشرة حاسمة بالنسبة لمستقبل أثينا، إذ ظهر فى منطقة سنيوم عرق هام لمعدن الفضة، ولما كانت تلك المدن الإغريقية تعتنق فكرة مباشرة عن الميزانية العامة، فقد اقترحوا أن يوزع هذا الكنز بين المواطنين، ولكن ثمستوكليس كان يرى أبعد من ذلك، فقد كانت أثينا ضالعة فى صراع مع جزيرة أجينا ذات الموقع التجارى الهام، وكانت فى أمس الحاجة إلى بناء سفن جديدة، لذلك قام ثمستوكليس بتحريض الإغريق للصرف من هذه الثروة المفاجئة على بناء أسطول، متخذاً من صراعهم مع أجينا ذريعة ولكنه كان ينظر أبعد من ذلك نحو الخطر الفارسى المتوقع، هكذا بنى الأسطول فى الوقت المناسب، ففى عام ٤٨٠ قبل الميلاد بدأ الهجوم الفارسى الثانى على بلاد الإغريق، وفى هذه المرة لم تكن مجرد حملة تأديبية بل غزواً برياً شاملاً على نطاق واسع، واستطاع الإغريق الوصول إلى نوع من الوحدة فيما بينهم. وقد حكى هيرودوت ببراعة قصة تلك الحرب التى استمرت نحو عامين، ولم يستطع رغم مهارته أن يفهم استراتيجيتها، وهو يروى كيف سقطت الدفاعات الشمالية واحدة تلو الأخرى، وحدثت ملحمة رائعة عند ممر

ثرموبيلاى، ولم تكن نتيجة العملية البحرية التى جرت فى المياه المجاورة عند رأس ارتيميسيوم كلها سلبية، إذ أثبتت أن المراكب الإغريقية الثقيلة والبطيئة (وكان ثلثى هذه المراكب أثينية) يمكن أن تحارب بقليل من الأمل ضد أسطول العدو، والذى كان يتألف فى معظمه من مراكب فينيقية وأيونية فى المياه الضيقة حيث لم تستطع سفن الأعداء أن تناور، ولكن الوقت أزف واضطر الأثينيون أن يهجروا أتيكا فأرسلوا غير المحاربين ومعهم كل ما أمكن حمله من المتاع إلى جزيرة سلاميس، وشاهدوا كيف يحرق الفرس منازلهم ويحطموا معابدهم فوق هضبة الأكروبوليس.

واقتربت ساعة من أشد الساعات حسماً فى التاريخ، فإغريق الشمال قد أخضعهم الفرس ولم يبق غير أهل شبه جزيرة البلوبونيز مع بعض الجزر بعد أن سقطت أثينا من قبل، وتم اجتياح إقليم أتيكا، وكانت جيوش أهل البلوبونيز عند المضيق (Isthmus) مشغولة فى عمليات تحصينية، وكان رأى القادة البحريين أن يغادر أسطول الحلفاء الإغريق خليج سلاميس خوفاً من حصار الفرس له، ورأى ثمستوكليس خلاف ذلك، وهو أن المياه الضيقة داخل خليج سيلاميس سوف تعطى أسطول الإغريق فرصة للنصر فى حين رأى الآخرون أنهم سوف يهزمون لا محالة، إذا ما ربطوا عند المضيق حتى لو ظل الأسطول الإغريقى كما هو وذلك أمر أصبح غير مؤكد، وأخذ ثمستوكليس يشد من أزر الإغريق حتى يتماسكوا، وبعد أن نجح فى ذلك كانت الخطوة الثانية أن يجبر.

الملك الفارسي إجزر كسيس (Xerxes) في دخول المعركة البحرية في المياه الضيقة، فاستعمل الخدعة لتحقيق مآربه، وأرسل عبداً من عبيده المخلصين في قارب إلى المعسكر الفارسي ليوحي لهم بأن الأسطول الإغريقي ينوي الهروب سراً أثناء الليل من خلال المخرج الغربي لخليج سلاميس، وحتى يجبر الفرس أن يحكموا إغلاق هذه الثغرة ليحاصروا الإغريق فيقعوا في المصيدة وانخدع الفرس وصدقوا الفكرة فأرسلوا فرقة لإغلاق مدخل الخليج من ناحية الغرب، وتجمع بقية الأسطول في المياه الضيقة، وعندما غربت الشمس كان الموقف قد انجلى عن هزيمة منكرة للأسطول الفارسي، وكان لأثينا الجانب الأكبر من هذا النصر المبين.

وفي خلال الصيف التالي جاء دور الإسبرطيين لملاقاة الجيش الفارسي في بلاتيا (Plataea)، ولم يكن إنذارهم بفضل القيادة الإسبرطية – التي افتقرت الكفاءة– وإنما يرجع لبسالة قوات إسبرطة التي استطاعت ضرب الجيش الفارسي، في حين حاربت طيبة ببسالة أيضاً في موقع آخر.

وهكذا قضى على الخطر الفارسي، ولم يبق سوى تحرير إيونيا، وهي المنطقة التي تضم الممالك الإغريقية الحرة في آسيا الصغرى، للتأكد من أن الملك الفارسي لن يجرؤ في المستقبل على أن يتدخل في شئونها، ولكن الأمر المؤسف حدث بعد مرور مائةعام عندما استطاع الملك الفارسي أن يجبر تلك الممالك الإغريقية المتناحرة على عقد سلام بدون أن يضطر إلى الدخول معها في معركة واحدة.

آثينا تتزعم بلاد الإغريق :

وبعد المعركة البحرية فى سلاميس (Salamis) التى خرجت منها أثينا منتصرة أصبحت لها الزعامة بجدارة فى بلاد الإغريق، وليس معنى ذلك أن الحرب بين الفرس وبين الإغريق قد انتهت عند هذا الحد إذ كان يتعين على الإغريق أن يواصلوا القتال لإجلاء الفرس عن أيونيا (فى آسياالصغرى) عام ٤٧٩ قبل الميلاد ومن منطقة البحر الأسود عام ٤٧٨ ثم من طراقيا عام ٤٧٥ قبل الميلاد.وفى عام ٤٦٨ قبل الميلاد أحرز الأسطول والجيش الأثينيان نصراًمؤقتاً على الفرس عند مصب نهريورميدون وهو نهر يجرى فى بمفيليافى جنوب آسيا الصغرى.

وحدث فى نفس الزمن تقريباً أن استطاعت المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى وفى بحر إيجة تكوين اتحاد (ديلوس) (Dylos) بزعامة أثينا اتفقت كلها على التبرع بمقادير من المال أودعت فى خزينة معبد الإله أبوللو فى ديلوس فى حين ساهمت أثينا فى هذا الاتحاد بعدد من السفن الحربية بدلاً من دفع الأموال ولذلك أصبحت لها الزعامة.

وتحولت أثينا إلى إمبراطورية أثينية، وكانت السلطة ماتزال فى يد ثمستوكليس المنتصر، الذى حدد أهدافاًواضحة لتطوير أثينا فى المستقبل مفضلاً مصلحة بلاده ورقيها، وشرع فعلاً فى تنفيذ تلك السياسيةدونما اعتبار لإثارةحقد مدينة إسبرطة عليه.

١- فأخذ يتفاوض مع الفرس حتى يفتح الطريق أمام التجار فى آسيا، وكان هذا فى نظره من أهم العوامل لإزدهار وغنى أثينا فى المستقبل.

٢ ـ أشرك مواطنى أثينا فى إقامة سور ضخم حول المدينة وسور آخر حول ميناء بيريه حتى يجعل البحر هو ميدان أى صراع مرتقب مع الأعداء، وكأنه بذلك أغلق الباب أمام أية محاولة حربية برية ناحية البلوبونيز حيث تقع أسبرطة

٣ – أشرك مواطنى الأسطول الحربى للضغط على جزر الكيكلاد لتدفع جزية لأثينابحجة أنها لم تشترك فى مقاومة الغزو الفارسى كما ينبغى، وفى عام ٤٧١ قبل الميلاد أصدر الأثينيون قراراً بنفى ثمستوكليس، وصدر أمر بالقبض عليه بتهمة أنه قد طلب من أرتخشيرخليفةإكسركسيس (Xerxes) أن يكافئه مقابل عدم تعقبه للأسطول الفارسى بعد هزيمته أمام الإغريق فى موقعة سلاميس البحرية، لكنه مات عام ٤٤٠ قبل الميلاد وقبل أن يتورط فى تصرف أحمق ضد بلاده.

عصر بركليس:

فى عام ٤٦١ قبل الميلاد تسلم بركليس رئاسة الحزب الديمقراطى،وكان قد ترك الحزب الأرستقراطى وانضم إلى الحزب الديمقراطى فى مطلع حياته السياسية فى أثينا وظل بركليس فى السلطة منذ ذلك الحين لمدة ثلاثين عاماً وسبب انضمام بركليس إلى الحزب الديمقراطى هو انه أدرك. أن الأسطول الذى تألف أفراده من طوائف الفقراء كان هو عماد المقاومةضد الخطر الفارسى وكان له الفضل فى انتصار الإغريق على الفرس فى معركة سلاميس الشهيرة فى حين لم

يكن للجيش الذى سيطر عليه الأغنياء المنضمين تحت لواء الحزب الألجركى الأرستقراطى نصيب يذكر فى ذلك الانتصار.

وهكذا استفادت أثينا على أيامه بجميع مميزات كل من الحكم الديمقراطى والحكم الأرستقراطى والحكم الدكتاتورى، فبلغت الحضارة الإغريقيةعلى أيامه أقصى ما كان يتوقع لها من ازدهار.

اصلاحات بركليس:

حاول بركليس بشتى الوسائل تشجيع الثقافة والفنون والفلسفة، وهو الذى أتيحت له الفرصة لينهل من معينها جميعاًعلى أيدى أفذاذ مثل الموسيقى دامون (Damon) وفيثاغورث الذى علمه الأدب والموسيقى.

وكان صديقاً للفيلسوف أنما غوراس وللمؤرخ هيرودوت وفى عدة عاش الفيلسوف سقراط وهوأستاذ أفلاطون وهو أستاذ الفيلسوف أرستطاليس، وكان سقراط يريد إخضاع كل التقاليد لحكم العقل وأن يضع للأخلاق قواعد تحتكم إلى الضمير وليس على أساس خشية الآلهة، وكانت فلسفته جوهرها الأخلاق والسياسة وليس الدين أو الطبيعة وكان المنطق وسيلته لبلوغ ذلك.

ولكن أهل أثينا رأوا فيه مارقاً على الدين، رغم أنه لم يحاول التعرض بكلمة سواء إلى الآلة وإن كان فى قرارة نفسه لا يؤمن بها.

وفى عام ٣٩٩ قبل الميلاد وجه إلى سقراط الاتهام «وأن سقراط مذنب كذلك لأنه لم يعترف بالآلهة التى تعترف بها الدولة».. «وأنه

بات مذنباً لأنه أفسد الشباب، وجرت محاكمته وحكم عليه بالإعدام بشرب السم.

وعاش سقراط حتى شهد حروب البلوبونيز كلها وحاول النقاد أن ينسبوا إليه وإلى مبادئه ما شاع لدى الشباب من زعزعة فى العقيدة الدينية ومن انحلال أخلاقى.

وفى عهد بركليس عاش صديقه الشاعر الملحمى أو المسرحى سفكليس (Sophocles) ٤٩٦ - ٤٠٦ ق.م ألف مائة وعشرين مسرحية شعرية عالمية بقى منها سبع فقط هى : أجاكس (Ajax) وأنتيجون (Antigone) والملك أوديب وامرأة من تراخيس (Trachis).

وإلكترا وفيكيتيس وأوديب فى كولونوس ونخص هنا مسرحية «الملك أوديب» بما فيها من دراسة لنفسية البشر

وكلمـــة أوديب Oedipius معناها صاحب القدم المتورمة وهى التسمية التى أطلقها عليه الراعى الذى عثر عليه بعد أن تخلص منه أبواه ملك وملكة طيبة حتى يتجنبا النبوة التى، تنبأت بأنهما سيرزقان بولد يقتل أباه ويتزوج بأمه، وتقول الأسطورة التى استقى منها سفكليس أحداث الرواية أن اللعنة كانت قد حلت ببيت الملك لايوس ملك طيبة وزوجته جكستاوأبنائهما لأن أباه قد أدخل إلى هللاس رذيلة غير طبيعية، وكانت سبباً فى هلاك الناس جيلاً بعد جيل، وحذرهما العرافون بنبوءة أبوللو بأنهما سيرزقان بولد يقتل أباه ويتزوج بأمه، وبعد

ولادته تخلصا منه بأن أمرا أحد الأتباع بأن يلقى به فى العراء فوق الجبل بعد أن يربط كعبيه بدبوس طويل، ولكن أحد الرعاة من كورنثة عثر عليه واحتفظ به، وحدث بعد ذلك أن هذا الراعى قام بإهداء الطفل أوديب إلى الملك بوليبوس (Poiybus) فتبناه وعندما كبر أوديب عرف من الوحى فى دلفى أنه سيقتل أباه ويتزوج بأمه، وظنا منه أن ملك كورنثة هو أبوه الشرعى فر هاربا، والتقى فى طريقه بشيخ كبير السن فى تقاطع طريق ضيق وتشاجر معه وقام بقتله، دون أن يعلم أنه أبوه.

ولما اقترب من مدينة طيبة واجه وحشاً (بوجه امرأة وجسد أسد وجناحى طائر) يقال له سفنكس (أبو الهول) وكان يسأل كل قادم إلى المدينة سؤالاً محيراً، فإذا لم يستطع الإجابة عليه افترسه، وتسبب هذا الوضع فى اضطراب شديد لأهل طيبة، فلما سأل الوحش أوديب من هو المخلوق الذى يمشى على أربع أرجل فى الصباح ثم على أثنين فى الظهيرة وأخيراً على ثلاث أرجل فى المساء؟ أجاب أوديب أنه الإنسان الذى يحبو على يديه ورجليه طفلاً وثم على رجليه عندما ينضج ثم يستعين بعصى عندما يشيخ.

وكان هذا الجواب الصحيح سبباً كافياً لانتحار الوحش، فنادى أهل طيبة بأوديب المخلص ملكاً عليهم، بعد أن افتقدوا ملكهم الشيخ الذى خرج منذ مدة فى رحلة صيد ولم يعد.

حينئذ تزوج أوديب الملكة الأرملة دون أن يعلم أنها أمه، حيث أنه طبقاً لعادات الإغريق فى مثل تلك الأحوال إن ولاية العرش لا تتحقق

إلا بالزواج من الملكة الأرملة، ورزق منها بالذرية ابنان وبنتان وبعد عدة سنوات انتشر الطاعون فى طيبة وعندما سأل أوديب أحد الكهنة بإلحاح أن يبين له من الذى قتل الملك الراحل لطيبة، ذلك الذى خرج ولم يعد حتى يقضى بذلك على البلاء الذى حل بالبلاد رد الكاهن بأن القاتل هو أوديب نفسه، وأن الملك القتيل هو والد أوديب وأن البلاء الذى حل بالبلاد سببه غضب الآلهة وسوف يستمر حتى يرحل أوديب عن طيبة.

وعلمت الأم بالفجيعة فانتحرت شنقاً، أما أوديب نفسه فإنه فقأ عينيه من شدة الغيظ، وفر من طيبة لا يلوى عن شئ تقوده ابنته أنتيجون.

وفى نظر سفكليس مؤلف مسرحية أوديب أن أسعد الناس هو الذى لم يولد بعد، ويليه من يموت وهو طفل، وفى الأبيات الشعرية الحزينة فى النشيد الجنائزى الذى أنشد عند موت أوديب إلى جوار شجرة الإلهات اليومنديات - بمعنى الراجيات للخير - وعندما لم يجد أوديب طعماً للحياة بعد أن أصبح شيخاً هرماً قال: أى رجل ذلك الذى يتوق إلى طول الأجل؟ إن عينى ترى الحماقة تحيط بكل شىء، وكلما مرت بك السنون تبدلت سوء بعد سوء، سوف يقترب منك الحزن، ويبتعد عن عينيك السرورذلك هو الجزاء الذى يناله كل من يطول أجله.

وكان أوديب، قد علم عن طريق نبوءة أنه سيقضى نحبه إلى جوار الآلهات الراجيات للخير أو اليومنديات (Eumenides)، وعندما وصل الشيخ فى تجواله إلى شجرة الآلهات الراجيات للخير شعر بنهايته

ورحب بها، فودع ابنتيه وتقدم إلى نهايته المحتومة واختفى تماما دون أن يعلم إنسان كيف اختفى.

ومسرحية أوديب التى تعد من أشهر المسرحيات الإغريقية جميعاً تبدأ بجذب المتفرج إلى صلب المشكلة فى المسرحية مباشرة حين تتجه جموع غفيرة من شعب طيبة إلى قصر الملك أوديب ترجوه أن يقدم قربانا للآلهة (Eumenides) حتى يرحل الطاعون الذى أصاب مدينتهم بسبب وجود قاتل ملكهم السابق فى المدينة والتى أعلنت النبوءة أن هذا القاتل هو سبب تلك اللعنة التى حلت بهم، ثم يتبع ذلك مناظر المسرحية التى كان جمهور النظارة على علم مسبق بأحداثها من خلال إلمامه بالأسطورة التى تؤلف عصب المسرحية بحكم كونها جزءاً من التراث القديم.

وفى زمن بركليس عاش المثال الأثينى فيدياس (Pheidias) ٤٩٠–٤١٥ ق.م، الذى وصل بفن النحت الإغريقى إلى الكمال النسبى، ولعل أهم أعماله تمثال العذراء أثينا (Athena Parthinos) من الذهب والعاج والبرونز داخل معبد البارثينون (Parthenon) عام ٤٣٨ قبل الميلاد، كذلك امتدت يدى فيدياس وأيادى تلاميذه تبدع فى مناطق أخرى من بلاد الإغريق، وقد عثر رجال الآثار على ورشة فيدياس فى أولمبيا وعلى إناء الشرب الذى يحمل اسمه.

ففى بلدة أولمبيا (Olympia) على وادى نهر الفيوس وسط إقليم اليس فى شمال غرب البلوبونيز كان يقوم المعبد الرئيسى لكبير الآلهة

زيوس الذى صنع فيدياس تمثاله الرائع، وكان لبلدة أوليمبيا وضع خاص بوصفها المنظمة للدورات الأولمبية كل أربع سنوات، وقد نسبت الأساطير الإغريقية نشأة هذه الألعاب الأوليمبية إلى الإله هيركليس (هرقل). ويروى أن هذه الدورات الرياضية بدأت عام ٧٧٦ قبل الميلاد باشتراك كل المدن الإغريقية، وكان الإغريق بلا استثناء تجمعهم الألعاب الأولمبية، كما تجمعهم إلياذة هومير ونبوءة دلفى، ومدينة دلفى مركز نبوءة «دلفى» فى معبد الإله أبوللو تقع فى إقليم فوكيس (Phokis)، وشهد مسرح ديونيزوس وشارك فى النهضة الفكرية حيث عرضت التراچوديا فى أعياد ديونيزوس والملاهى (جمع ملهاة + الكوميديا) من وضع كبار الشعراء بمصاحبة الموسيقى.

وقد ابتدع بركليس عام ٤٣٠ قبل الميلاد بدعة منح كل مواطن مبلغاً من المال ليدفعه مقابل حضور المسرحيات والألعاب فى المناسبات العامة.

ومن إصلاحات بركليس أيضاً بناء الأسوار الطويلة «١٠ كم» لحماية أثينا من أعدائها القدامى فى البلوبونيز مما أثار غضب إسبرطة، فسعت لتقويض أثينا من الداخل، وأرسلت إسبرطة بالفعل جيشاً نحو أثينا حسب الخطة، ولكن الثورة المتوقعة فشلت فاضطر الجيش الإسبرطى إلى العودة بخفى حنين، وبدون أن يحاول الاشتباك، إلا أن بركليس لم يسع إلى الانتقام من سوء نية وتدبير إسبرطة، وإنما حول كل نشاطه للتعمير، فحول خزينة حلف ديلوس (Dylos) إلى أثينا وصرف منها على أعمال الإنشاءات.

ومن أهم ما تم من إصلاحات فى تلك الفترة ما شمل القضاء، حيث نظمت السلطة القضائية من الأركون والأريوباج إلى المحاكم الشعبية «الهيلية» (Hailia)، وهو النظام الذى عرفه العالم فيما بعد باسم نظام المحلفين، وكانت المحاكم الشعبية الهيلية تتألف من ستة آلاف محلف يختارون بالقرعة من سجلات المواطنين لمدة عام، وهى نفس المحاكم التى حاكمت سقراط وحكمت عليه بالإعدام.

وفى عام ٤٥٩ قبل الميلاد حاول بركليس أن يساعد الثوار المصريين فى طرد الفرس من مصر، وكانت مصر قد وقعت منذ عام ٥٢٥ قبل الميلاد فى براثن الحكم الفارسى فأرسل بركليس أسطولاً كبيراً إليها، وكان هدفه أن يضمن لبلاده مورداً هاماً لإمدادات القمح، إلا أن الحملة لم تنجح، واستمرت كلاً من مصر وقبرص خاضعتين للفرس بينما حافظت جزيرة رودوس على حريتها بمدنها الثلاث بعد أن اتحدوا فى مدينة واحدة عام ٤٠٨ قبل الميلاد، وأصبحت من أهم المراكز التجارية فى العالم الإغريقى.

وانقضى عصر النهضة الشاملة بمحاكمة بركليس ثم بوفاته عام ٤٢٩ قبل الميلاد، وبدأت أثينا تتخبط فى ديكتاتورية مشينة مع جاراتها وحلفاء الأمس، وقامت حروب البلوبونيز قبل وفاة بركليز بعام واحد ٤٣٠ ـ ٤٠٤ قبل الميلاد.

* * *

الحروب البوبونيزية
٤٣٠ـ ٤٠٤ ق.م

تسببت سياسة أثينا مع غيرها من المدن الإغريقية وتحولها تدريجياً إلى إمبراطورية أثينية إلى ظهور روح التذمر والسعى نحو الحرية بين معظم أعضاء الحلف للفكاك من سيطرة أثينا.

وكان السبب الأساسى للحروب البوبونيزية وقيام جميع المدن الإغريقية تقريباً لمقاومة سيطرة أثينا هو نمو الإمبراطورية الأثينية، واستحواذ أثينا وحدها على التجارة والسياسة الخارجية فى بحر إيجة.

أى أن حلف المدن الإغريقية الحرة هذه الذى تأسس فى الأصل للوقوف فى وجه الفرس قد تحول ليصبح أمبراطورية تعتمد على القوة العسكرية فى إخماد أى حركة فى داخل الحلف تعارض أثينا، كما حدث عندما استعمل بركليز القوة العسكرية ضد مواطنى إيجينا عام ٤٥٧ قبل

الميلاد ثم ضد مواطنى إيونية عام ٤٤٦ قبل الميلاد وساموس عام ٤٤٠ قبل الميلاد عندما ثاروا فى وجه السيطرة الأثينية.

واستغاث عدد من المدن الإغريقية الواقعة تحت سيطرة أثينا بمدينة إسبرطة، ووقع الصدام حينما انضمت البلوبونيز ما عدا أرجوس إلى إسبرطة مضافا إليهم كورنثة وميجارا وبيوتيه وفوكيس، فى حين قدمت إلى أثينا فى بدء الصراع مساعدات من المدن اليونية فى آسيا الصغرى ومدن بحر إيجة، وبدأ الأسطول الأثينى يضرب المدن الساحلية فى البلوبونيز فى حين انطلق الجيش الإسبرطى يغزوا أتيكا ويخربها، وتحت وطأة الظروف الداخلية والخارجية وخاصة ثورات الهيلوت وكل ما يترتب عليها من أخطار طلبت إسبرطة الصلح من أثينا عام ٤٢١ قبل الميلاد، ووقعت حلفاً كان المفروض أن يدوم خمسين عاماً، على أن تساعد أثينا إسبرطة عندما يثور عليها الهيلوت.

ولكن هذا الحلف لم يدم أكثر من ست سنوات بسبب محاولات أثينا السيطرة على المستعمرات فى صقلية.

ووقعت معركة وانتصرت فيها إسبرطة على أثينا ٤١٨ قبل الميلاد، وتم عقد معاهدة لهدنة جديدة، ولكن أثينا سيرت أسطولاً قوياً إلى صقلية، إلا أنه هزم عام ٤١٤ قبل الميلاد على يد أسطول صقلية بمساعدة أسطول إسبرطى، ورغم قسوة الهزيمة فى سيراكيوز بصقلية على أثينا إلا أن أهلها أجمعوا أمرهم على الاستمرار فى المقاومة.

وانتهزت إسبرطة الفرصة عام ٤١٣ قبل الميلاد للقضاء على عدوتها أثينا، مدعية أن أثينا قد خرقت صلح الخمسين عاماً بهجومها على صقلية، فأعلنت الحرب على أثينا، وتدخل الملك الفارسى وساعد إسبرطة بالمال طبقاً لاتفاق بينه وبين إسبرطة يقضى بتقديم المساعدة لإسبرطة ضد أثينا على أن يستعيد الفرس سيادتهم على المدن الإغريقية فى أسيا الصغرى.

واستطاعت أثينا على الرغم من كل شىء أن تعد نفسها للحرب، وحدث انقلاب فى أثينا تزعمه الحزب الأرستقراطى فى المنطقة، ولكن الإرستقراطيين لم يتلقوا مساعدة من إسبرطة، وفى نفس الوقت ثار عليهم بحارة الأسطول، وكان هو حصن أثينا وأملها فى النصر، ففر الحكام الأرستقراطيون وعادت الديمقراطية إلى أثينا عام ٤١١ قبل الميلاد.

وأخذ الأسطول الأثينى الذى كان مرابطاً عند ساموس ينتصر المعركة تلو الأخرى فى منطقة مضيق الدرنيل، واستطاع أن يعيد سيطرة أثينا على البحر الأسود بعد أن استولى على خلقدونية وبيزنطة، وذلك فيما بين عام ٤١٠، وعام ٤٠٧ قبل الميلاد.

وتمكن الإسبرطيون من هزيمة الأسطول الأثينى بعد ذلك عام ٤٠٧ قبل الميلاد، وأصدرت الأوامر لبناء أسطول جديد ينفق عليه من صهر التماثيل الذهبية والفضية المقامة فى معبد الأكروبولس، وتوجه

الأسطول الجديد لملاقاة أسطول إسبرطة فى بحر مرمرة (بين بوغازى البوسفور والدرنيل)، ودارت الدائرة على الأثينيين وأسر منهم ثلاثة آلاف رجلا، وهكذا أذلت أثينا عندما ضرب عليها الأسطول الإسبرطى الحصار، وفرض عليها ليسندر الفاتح الإسبرطى شروط الصلح الصعبة، ومنها هدم أسوار المدينة، وعودة أعضاء الحزب الأرستقراطى «الألجركى» الهاربين إلى السلطة وتسليم بقية الأسطول الأثينى، وأن تساعد أثينا إسبرطة فى أى حرب مقبلة.

وعاد الأرستقراطيون عام ٤٠٤ قبل الميلاد إلى الحكم فى أثينا وأخذوا ينكلون بمعارضيهم من الديمقراطيين، إلا أنهم سقطوا مرة أخرى، وعادت الديمقراطية عام ٤٠٣ إلى أثينا، حيث اتخذت طريقاً معتدلاً، وأعادت السلام إلى أثينا بعد أن افتقدته طوال الحروب البلوبونيزية.

محاكمة سقراط:

وبعودة الديمقراطية لأثينا عام ٤٠٣ قبل الميلاد أعطيت الفرصة لكى تنعم بالسلام على أيدى بعض الرجال المعتدلين وعلى الرغم من المآسى والآلام التى سببتها الحروب البوبونيزية إلا أن أثينا أخرجت إلى العالم فى خلال الستين عاماً السابقة إنتاجاً أدبياً وفلسفياً وفنون تشكيلية مازالت معيناً لا ينضب لمحبى الفلسفة والأدب والفن، فاستمرت أثينا لعدة قرون بعد ذلك مناراً للفن والفكر فى كل منطقة البحر المتوسط وأصبحت أثينا «مدرسة هللاس» حيث قامت فيها أولى الجامعات.

ولكن الديمقراطية الأثينية ارتكبت خطأ كبيراً في حق فيلسوفها «سقراط» بعد أن وصل إلى سن الشيخوخة «٧٠ سنة»، إذ كان بين زعماء الحزب المنتصر المدعو «أنتوس» وكان يحقد على سقراط بحجة أن سقراط أفسد ابنه بفلسفته وجدله، فتحول إلى سكير فاسد، فقرر أن من الأفضل أن يتخلص من سقراط لصالح أثينا كلها، واتهم سقراط عام ٣٣٩ قبل الميلاد بأنه مذنب كذلك لأنه أفسد الشباب، وكانت محاكمته أمام محكمة مؤلفه من ٥٠٠ مواطناً متوسطى التعليم، وجاء في معرض دفاعه:

«تقولون أولاً إنى أومن بالآلهة ثم تقولون بعدئذ أننى أومن بأنصاف الآلهة فإن مثلكم في هذا كمثل من يؤكد وجود البغال ثم ينكر وجود الخيل والحمير.....

وأنا أعتقد وأتصور أن الله يأمرنى بأن أؤدى رسالة الفيلسوف فأبحث عن نفسى وعن غيرى من الناس وإذا قلتم لى يا سقراط إننا سنعفو عنك الآن ولا نشترط عليك إلا أن تكف من هذه الساعة عن البحث والتفكير على هذا النحو... أجبتكم: أى رجال أثينا أنى أجلكم وأحبكم ولكنى أطيع الله ولا أطيعكم، ولن أمتنع ما دمت حياً وما دامت لدى قوة على ممارسة الفلسفة أو تعليمها للناس، وأعظ كل من ألقاه على طريقتى الخاصة، وأقول له أى صديقى لم تعنى كل هذه العناية بأدخار أكبر قدر مستطاع من المال والشرف والسمعة الطيبة.. ولا تدخر إلا القدر اليسير من الحكمة الحقيقة، وأنت مواطن في مدينة

أثينا العظيمة القديمة الحكيمة... برئوني.، ولكن أياً كان ما تفعلونه بى فلتعلموا أنى.. لن أبدل طرائقى ولو مت مرات عديدة»

«وأود أن تعرفوا أنكم إذا قتلتم رجلاً مثلى، أسأتم إلى أنفسكم أكثر مما تسيئون لى. لأنكم إذ قتلتمونى لن يسهل عليكم أن تجدوا رجلاً آخر مثلى، فأنا إذا سمح لى أن أشبه هذا التشبيه المضحك السخيف، كذبابة بعثها الله فى الدولة، والدولة شبيهة بجواد عظيم كريم بطيئ الحركة لضخامة جسمه فى حاجة إلى من يبعث فيه الحياة».

وحكمت عليه المحكة بالإعدام بتناول السم بأغلبية ٦٠ صوتاً فقط، ويذكر المؤرخ ديودور الصقلى أن أثينا ندمت على فعلتها بعد تنفيذ حكم الإعدام.

وانتهى عصر أثينا الذهبى بموت سقراط بعد أن أخذت أثينا تنحدر مادياً ومنعوياً نتيجة الحروب الطويلة وأثرها السلبى على أخلاق المواطنين، كما أصيبت الحياة الاقتصادية بضربة شديدة بعد أن تعرضت أتيكا لغارات إسبرطة ولتدمير أسطولها التى تسيطر بواسطته على طرق التجارة وكانت تعد مورداً هاماً من موارد اقتصادها.

أوديسة هومير :

بعد سقوط طروادة قام أديسيوس مع رفاقه فى اثنى عشر سفينة بعدة مغامرات بحرية لدى عودته إلى وطنه فى جزيرة إتاكا الواقعة فى

البحر اليونى بالقرب من الشاطئ الغربى للقسم الأوسط فى بلاد الإغريق، وهى محور تلك الملاحم الشعرية التى نظمها هومير، ونسبت إلى أوديسوس ويمكن تقسيم أحداثها إلى :-

١ - حادثة وقوعه مع رفاقه فى كهف بغربى صقليةيخص الجبار بولوفيموس (Polyphemus) ابن إله البحر بوسيدون (Poseidon)، وكان له عين واحدة فى منتصف جبهته، الذى استطاع أن يفترس نصف مرافقيه الإثنى عشر بعد أن أسرهم فى كهفه. ليتعشى باثنين منهم كل مساء، وأصبح هو ومن تبقى من رفاقه أسرى ذلك المخلوق المخيف فى انتظار نفس مصير زملائهم.

وهناك تظهر أهمية حيلة أوديسوس، حينما عمل هو ورفاقه على جمع كميات هائلة من العنب، وقاموا بعصرها وتقديمها للمارد الذى أعجب بالنبيذ وظل يطلب المزيد، وكلهم يلهثون لتلبية طلبه حتى أخذ يفقد توازنه، فانتهز أوديسيوس ورفاقه الستة الفرصة وفقأوا عينه الوحيدة بعصى محمية، واستعانوا بالغنم التى كان يربيها المارد لتمده باللبن فتعلقوا ببطونها وفروا من فتحة الكهف.

٢ - قصة بلوغ أوديسيوس جزر ملك الرياح شمال شرقى مدينة صقلية المدعو «أيولوس (Aeolus) الذى أهدى أوديسيوس جعبة مليئة بالرياح لتساعده على العودة إلى وطنه، إلا أن رفاقه لم يدركوا أهمية الجعبة فشقوها وتسربت منها الرياح وفقدت بذلك أهميتها فضاعت منهم فرصة ذهبية.

٣ ـ مغامرات أوديسيوس مع الجبابرة آكلى لحوم البشر فى مدينة اللايستريجونيين (laestrygones) والتى ربما تقع فى جنوب كورسيكا أو شرقى صقلية، الذين حطموا له إحدى عشر سفينة من سفنه الإثنى عشر ويصف هومير ليالى الصيف هناك بأنها قصيرة لدرجة أن الرعاة الذين يأخذون قطعانهم فى الصباح يقابلون الذين يعودون عند الغروب، مثلما يحدث حالياً فى المناطق القطبية الشمالية.

٤ ـ مغامرة أوديسيوس فى جزيرة إيايا (Aeaea) فى نهر أقيانوس بالقرب من الساحل الجنوبى الغربى لإيطاليا (كمبانيا) التى اتخذتها الساحرة كيركى (Circe) مقراً لها، وعاش أوديسيوس مع الساحرة كركى لمدة عام، وأنجبت منه ابناً سمى تيليجونوس (Telegonus)، وكانت الساحرة ابنة إله الشمس قد مسخت رفاق أوديسيوس خنازيرا، ولكن الإله هيرمس أعطى أوديسيوس عشباً قاوم بواسطته السحر مما شجعه على إرغام الساحرة على أن تعيد رفاقه إلى صورهم الأولى.

وعند رحيل أوديسيوس ورفاقه عن جزيرة الساحرة ابنة إله الشمس نصحته الساحرة بزيارة عالم الموتى عند الإله هادس إله العالم السفلى ليسأل العراف تريسياس (Teiresias) عن الطريق إلى أرض الوطن، وهناك قابل شبح أمه، وفى هذا إشارة إلى أنها انتقلت إلى العالم الآخر، كما شاهد أشباحاً كثيرة لأبطال الإغريق الراحلين، وبعد أن زار أبطال الإغريق فى العالم السفلى عاد مع رفاقه إلى جزيرة الساحرة كيركى، التى أرسلت ريحاً فدفعت شراعهم نحو مجموعة جزر بالقرب من مدينة نابلى.

٥ ـ وكانت تسكن تلك الجزر القريبة من نابلى حوريات تميزن بالصوت الساحر الذى يجذب إليهن كل من يسمعه، وهناك تقضى عليه، ولكن أوديسيوس فكر فى طريقة تنجيه ومن معه من هذا الخطر المحقق، فقام بسد آذان رفاقه بالشمع، وأمر بأن يربطه رفاقه بقائم المركب حتى لا ينجذب إلى الأصوات الساحرة، وهكذا مر أوديسيوس ورفاقه بسلام.

ولكنه واجه محنة جديدة عندما اضطر إلى المرور خلال مضيق مسينا ما بين صقلية وشبه جزيرة إيطاليا الذى اشتهر بخطورة تياراته المائية، وهناك وقع بين صخرتى وحشين هائلين، حيث اختطف بعضا من رفاقه ولاقوا حتفهم.

٦ ـ وعندما حط رحاله فى جزيرة أخرى فى الطريق هى ثريناكيا قرب صقلية. ارتكب رفاق أوديسيوس خطأ بقتلهم بعض الثيران المملوكة لإله الشمس «هليوس»، مع أن العراف تيريسياس الذى سبق الإشارة إليه كان قد حذرهم من فعل ذلك، وعندما واصلوا رحلتهم أنزل عليهم إله الشمس صاعقة من السماء قضت عليهم جميعاً ماعدا أوديسيوس.

٧ ـ وبعد أيام من الرحلة البحرية الشاقة رست سفينته عند جزيرة أوجوجينا (Ogygina) وهناك تعرف على حورية تدعى كلبسو (Kalypso) وتزوجها بعد أن وهبته الخلود، وبعد سبع سنوات من الحياة

الرغدة معها لم يستطع أوديسيوس مقاومة حنينه إلى الوطن، وأخيراً سمحت له الحورية بعد موافقة الآلهة بمواصلة السفر، وعلمته كيف يبنى لنفسه صندلاً مائياً جديداً.

٨ - واستطاع بواسطة العوامة أو الصندل المائى أن يصل إلى إسخيريا (Scheria)جزيرة الفياكيين (Phalecis)، وربما تكون هى جزيرة كوكورا وهو كورفورا الحالية، وعندها هاج البحر وحطمت الأمواج عوامته، فسبح يطلب النجاة حتى وصل إلى شاطئ الجزيرة المذكورة وهو بين الحياة والموت.

وهناك أحبته ابنة ملك الجزيرة، ولكنه رجاها أن تساعده على بلوغ أرض الوطن، فأمدته الأميرة بمركب أقلته إلى وطنه بعد غياب دام عشرين عاماً، تغيرت الصور خلالها كثيراً، فأمه انتكايا (Anticaea) ماتت حزناً عليه، وأصبح أبوه لارتيس (Laertes) طاعناً فى السن، فى حين أصبح ابنه تليماخوس (Telemachus) فى سن الرجولة.

أما بنيلوبى زوجة أوديسيوس فقد ظلت على عهدها مخلصة لزوجها رغم تنافس أمراء الجزر المجاورة على الزواج منها، وكانت قد أخذت تماطلهم مدعية أنها مشغولة بنسج كفن لوالد أوديسيوس الذى كان ينتظر الموت بين ساعة وأخرى، ولكنها كانت تقوم فى الليل بنقض ما نسجته فى النهار.

وعندما وصل إلى أرض الجزيرة إتاكا (Ithaca) موطنه (قدمت إليه) الإلهة أثينا ثياب شحاذ ليتنكر فيها، ولكن خادمه المخلص إيومايوس (Eumaeus) تعرف عليه وكذلك فعل كلبه الأمين الذى تعرف على صاحبه بعد عشرين عاماً، ثم مات تحت قدميه مباشرة، وتعرفت عليه مربيته أيضاً، وعندما عاد ابنه تليماخوس من رحلة إلى اسبرطة وبيلوس، وكان هناك يسأل منيلاوس عن خبر والده كشف له أوديسيوس عن شخصيته، ودبرا معاً خطة للخلاص من جماعة الأمراء المرابطين فى القصر.

وفى تلك الأثناء كانت بنيلوبى قد وعدت الأمراء بأن تتزوج من يستطيع منهم شد قوس أوديسيوس وأن يخترق بالسهم رؤوس أثنى عشر بلطة، وبعد فشل الجميع تقدم أوديسيوس بعد إلحاح، وأصاب الهدف، ثم توجه بسهامه نحو الأمراء وصرعهم واحد وراء الأخر، وحينئذ كشف عن نفسه لزوجته فرحبت به أيما ترحيب، وهكذا انتهت ملحمة الأوديسة.

* * *

مقتطفات من الألياذة
مواقف من العواطف الإنسانية

نعلم مدى حزن أخيل لمصرع صديقه باتروكلوس، وقسوة انتقامه من قاتله هكتور بطل أبطال طروادة، وتمثيله بجثته بلا شفقة ولا رحمة، وتركها مطروحة على الأرض أياماً إلا أن هكتور فى حزنه القاتل لما حدث لابنه، بعد مضى اثنى عشر يوماً وجثمان ابنه فى العراء تجمل بالصبر، وكما تقول الرواية أن زيوس كبير الآلهة أشار عليه أن يتجلد ويتوجه بنفسه إلى أخيل ليفتدى جثمان ابنه، وعندما يستشير زوجة هكوبا تقول له «لقد سلبك الحزن الشديد رشدك وحكمتك، تلك الحكمة التى كانت دائماً مبعثاً لتقدير الناس وتكريمهم لك، لقد تخلت عنك تماماً، وإلا لما فكرت أن تضع نفسك فى قبضة أخيل، وهو رجل قاسى لا يرحم، وقلبه قد يكون أقسى من الحجر، تذكر كم عدد أبنائك الذين قتلهم وتذكر كيف عامل هكتور، فهو لن يحترم سنك أو

يكترث بك عندما تذهب إلى متوسلاً، ولا يا زوجى، دعنا نندب هكتور هنا فى منزلنا، ولا تتح لأخيل الذى فتك بالكثير من أبنائك فرصة ليتفاخر أنه قتل أباهم أيضاً «فيرد هيكتور قائلا: «إنى مصمم ولن أتراجع عما اعتزمته، ولسوف أذهب لأننى أعتقد أن الآلهة الخالدة معى فى هذا الأمر، ولكن إذا كنت مضللاً، وقتلنى أخيل فليكن فأنا الآن شيخ هرم، سوف أرحب بالموت إن تمكنت أولاً من رؤية وجه ابنى العزيز ثانية، وودعته الوداع الأخير» . وأخذ يعد العدة لنقل الفدية الذهبية الغالية إلى عربة لتصحبه، ولكن أحداً من أبنائه لم يكن متحمساً، فوجه إليهم الملك القول: «أسرعوا بتنفيذ ما تؤمرون به، أيها التافهون، كم كنت أتمنى لو أنكم كنتم بدلاً من هكتور، لقد مات كل أبنائى الصالحين المطيعين، وهكتور أفضلهم جميعاً. بينما أنتم لا تزالون أحياء أوغاد كسالى لا تصلحون لشىء سوى الرقص، وفى الأباطيل، افعلوا ما آمركم به دون أى تلكؤ .

وفعلاً توجه الملك برياموس مباشرة، ودخل على أخيل فى كوخه يستعطفه قائلاً: «أخيل أيها الرجل العظيم، أسألك الرحمة باسم أبيك، الملك بيليوس. الذى هو فى مثل سنى، ويقف الآن مثلى على عتبة الشيخوخة الكئيبة، ولكنه على النقيض يعيش على أمل فى أن يرى ابنه العزيز يعود إليه فى يوم قريب منتصراً بعد معارك طويلة، وأما أنا فلا أمل عندى يضىء عندى ما تبقى لى من العمر، لقد مات أعز أبنائى جميعاً وأفضلهم، ولن يسمح لى أبداً أن أكلمه أو أسمع صوته مرة

أخرى، ولن يعود منتصراً أبداً إلى بيت أبيه، ولكنى قد أجد بعض العزاء لو أتيح لى فى ختام حياتى أن أنظر إلى وجهه مرة أخرى وأتحسس جسده بيدى، ولسوف أجد عزاء كبيراً لو تهيأ لى ذلك فيما تبقى لى من الأيام الحزينة الموحشة غير الآمنة أن أتذكر كيف كرم ابنى بحرق جثمانه فى حفل جنائزى يليق بابن ملك وأن أرنو إلى الربوة الترابية التى بناها رفاقه الجزانى لمواراة رفاته، وأستحلفك بأبيك وأمك أن ترحمنى يا أخيل وتسمح لبرياموس هذا الملك البائس التعيس أن يحمل جثمان ابنه هكتور لقد أحضرت إليك فدية عظيمة فلا ترفضها أتوسل إليك أن ترحم شيخاً كبيراً اضطر إلى إذلال نفسه والارتماء عند قدمى من قتل كثيراً من أبنائه».

فتدمع عينى أخيل ويقول «سوف لا أرى أبى أبداً أو وطنى ثانية ولن أرى باتروكلوس مرة أخرى وهذا مبعث لحزن أشد».

«وفى الحق إنك لعلى قدر كبير من الشجاعة برياموس، إذ جازفت بالمجىء وحدك وسط أعدائك للاجتماع بى، لكن تعال واجلس على هذا المقعد، ولنطرح الأحزان جانباً، فليس هناك جدوى من البكاء، إنه لا يعيد الموتى إلى الحياة، هذا ما أدركته مؤخراً واقتاده ليجلسه قائلاً «اجلس واسترح يا ابن بيليوس»، فيرد: لا لن أجلس بينما يرقد هكتور فى التراب وسط أعدائه.. رده إلى ودعنى أشاهده، وخذ الفدية التى أحضرتها لك، فهى عوض مناسب عن ابن ملك عظيم»، فيرد أخيل: «أيها الملك الفاضل لا تستفزنى بكرمك غير الموفق لسوف أسلمك

جثمان ابنك كما تطلب لأنى أعتقد بأنك حضرت إلى هنا اليوم بإرادة الألهة وإلا لما وصلت إلى كوخى سالماً».

وأمر الجوارى بإعداد جثمان هكتور بطريقة تليق به «حتى لا يراه الملك مثخناً بالجراح فينحو على باللائمة، وربما أغضب من كلامه، فأفعل ما قد أندم عليه فيما بعد، فلست مستعداً لامتهان الآلهة بالإساءة إلى ضيف لاذ بحماى، وهو ملك خط الشيب رأسه».

وأثناء ذلك توجه بالحديث إلى روح صديقه: «لا تغضب يا بتروكلوس إذا سمعت، حتى وأنت فى العالم السفلى، أننى سلمت جثمان هكتور لأبيه الذى يحبه، لا تغضب على ولكن افهم لماذا فعلت ذلك مثلما كنت تفهمه حين كنت تعيش معى» ثم رجع للملك يعلمه «لقد فعلت ما طلبته، إن ابنك يرقد فوق مركبتك، وسوف تحمله غداً عائداً به إلى طروادة، ولكن اجلس الآن وكل معى واشرب، وستنام الليلة آمناً تحت سقفى».

وجلسا معاً يتناولا الطعام والشراب، وقبل أن يترك ضيفه ليخلد للنوم سألة أخيل «كم يوماً تحتاجها للاحتفال بطقوس هكتور الجنائزية؟ إننى أشك أن الأغريق سيخرجون فى الظروف الحالية إلى القتال ما لم أخرج معهم، ولسوف أمتنع عن القتل طيلة الأيام التى تحتاجها لإجراء الطقوس»

فرد عليه بريامـوس: «إنى أشكر لك فضلك يا بن بيليـوس جـزتك الآلهة خيراً، وأنت تعرف أنه ليس من السهل علينا ونحن محاصرون فى مدينتنا أن نجازف بالخروج بعيداً عن الأسوار لإحضار الحطب، أمهلنا عشرة أيام أيها الرجل الطيب، تسعة أيام لتأبين هكتور وجمع الحطب اللازم لكومة حرق جثمانه، ويوماً لدفنه وإقامة مأدبة جنائزية، وفى اليوم الحادى عشر نبنى ربوة فوق جثمانه، وفى الثانى عشر تستأنف القتال إذا اقتضى الأمر ذلك» فقال أخيل مبتسماً «سوف نمهلك هدنة مدتها إثنى عشر يوماً، أيها الملك برياموس» وفى الفجر خرج الركب عائداً إلى طروادة، وعندما ظهر الركب قرب الأسوار لمحته كاسندرا فصرخت: تعالوا جميعاً يا رجال طروادة ونسائها، لئن كنتم قد رحبتم بهكتور يوماً وهو يعود حياً من المعركة، فتعالوا اليوم رحبوا به وهو يعود ميتاً، لقد مات لإنقاذ مدينتنا جميعاً.

نظرة فى عالم آلهة الإغريق
وشمولية الفكر الإغريقى

عبد الإغريق مثل غيرهم من شعوب العالم القديم آلهة متعددة، فقدسوا الطبيعة وآمنوا بوجود الأرواح التى ظنوا أنها موجودة فى الطبيعة، وعلى رأس هذه الآلهة إله السماء زيوس باعث الرعد والبرق،

واتخذوا للأرض إلهة تسمى دميتر التى تنبت الزرع وتجعل الأشجار مخضرة، أما برسفون ابنة دميتر فكانت رمز الربيع، وبالأضافة إلى تلك الآلهة كان لكل مدينة معبودها الخاص فمدينة أثينا (Athena) كانت لها معبودة تدعى أثينا وهى التى أهدت الإنسان شجرة الزيتون، وقد بنى الإغريق المعابدة لهذه الإلهة وقدموا القرابين من الأغنام والثيران تضحية وقرباناً لها، ووصفت الآلهة فى الإلياذة والأوديسة على أنها لم تكن أحسن من البشر على الأرض، فكانت شرهة ذات أطماع غيورة شريرة تبتكر الحيل لمعاقبة البشر، ولم تنشأ إلا مؤخرا فكرة أن الآلهة تقوم بمكافأة من يعمل صالحاً فى دنياه، وأن هؤلاء الناس الصالحين يتحولون إلى آلهة ويخلدون، أما أرواح أولئك الأشرار فبعد أن تقضى وقتاً فى ظلام العالم السفلى الذى يحكمه بلوتو فإنها تنتقل لتحيا فى أجساد الحيوانات أو الطيور.

أما عن أصول بعض أساطير الإغريق فربما نشأت عن شعوب بدائية كانت تعيش فى حوض بحر إيجة. وكانوا يشكلون جزءاً من حضارة البحر المتوسط التى كان مركزها جزيرة كريت، بدأت نشأتها فى مطلع القرن الثلاثين قبل الميلاد، انهارت هذه الحضارة فى القرن الثانى عشر نتيجة الغزو الدورى، ومن الطبيعى أن تكون للديانة مكانة فى الحضارة الإغريقية، ولكن الوثائق الأثرية القليلة الدلالة غير كافية لتقويم طبيعتها ومكوناتها تقويماً دقيقاً، ومثل هذه الديانة الإغريقية كمثل جميع الديانات القديمة بدأت وثنية، وحين قيدت هذه الآلهة فى

تصورات إنسانية مجسدةفيما بعد بدءوا يقيمون لها هياكل ومعابد ونسجت حولها القصص، ثم صيغت فى العديد من الأساطير الإغريقية العظيمة، ومن أمثلة ذلك أسطورة ميلاد زيوس فى جزيرة كريت، وأسطورة إحضار الكريتيين للإله أبوللو إلى مدينة دلفى وليصحبوا كهنة لديانته ويقوموا على عبادته.

ومثل عديد من الديانات الأسيوية، كان الإله الوثنى الكبير عند الإغريق أنثى، أى الأم المقدسة، فهى أولاً وقبل كل شيء ترمز إلى الخصب، ويمتد تأثيرها على النبات والحيوان وأيضاً على الإنسان، وكان الكون ملكاً لها، وهى التى تنظم مسار الكون وتتحكم فى فصول السنة المتعاقبة ،فعلى الأرض ترعى إنتاج القرية حتى ينضج، وتمنح الثراء للرجل وتحميهم فى الحروب، وفى البحر تحميهم فى مغامراتهم البحرية وتقتل الآلهة الشريرة أو تستأنس الحيوانات المتوحشة، وتتحكم فى ما وراء العالم مثل سر الحياة وتسيطر أيضاً على الموت، وتصور طبقاً للفترة التاريخية إما جالسة أو واقفة ترتدى ثياباً على طريقة المرأة الكريتية، وفى الحالة الأخيرة ترتدى مئزراً ويكون صدرها مغطى بصديرى، ويختلف رداء رأسها فإما يكون شعرها حراً ويعصب بشبكة أو يغطى بعمامة مزدانة بالزهور أو بريش أو على شكل مخروطى على الطريقة الشرقية أو بتاج بابوى طويل جدا على شكل مخروط ليس له قمة حادة، وعلى الرغم أن الهيئة التى تصور عليها الإلهة دائما هى نفسها فإن الاختلاف كان فى تفاصيل الملبس، إلا أن السؤال هو ما إذا

كانت تلك الأوصاف تخص ربة واحدة أو أنها تصور معبودات مختلفة ومتميزة لكل شخصياتها؟ فهل تكون ربة الخصب هى نفسها العذراء أو ربة الصيد والغابات، وهل تكون ربة الخضرة التى نراها جالسة تحت الشجرة تستقبل بشائر الزهور أو الفاكهة مثل ربة البحر التى تنتقل عبر الأمواج فى قارب، أو مثل ربة الأرض التى تسعى حولها الأفاعى، وما هو اسم الآلهة الأم عند الإغريق؟! وهنا أيضاً نعتمد على التخمين حيث لا توجد الوثائق، ويبدو أنها كانت تعبد فى جزيرة كريت تحت لقب ريا، واقترن هذا الاسم مؤخراً مع الإله الكريتى القديم فى ديانة زيوس على أنه ابنها، وتحفظ المصادر اسمين آخرين من الإلهات الكريتيات هما ديكتينا وبريتوماتيس وقد أطلق الإغريق فى أساطيرهم الاسمين على نفس الإلهة، وربما كانت ديكتينا هى الإلهة الأم، وتعنى كلمة بريتومارتيس العذراء الجميلة، وهى تسمية لا تصلح إلا أن تطلق على أم الكون العظيمة، وطبقاً للأسطورة الإغريقية كانت بريتوماتيس عذراء صغيرة وكانت تتعقب الحيوانات المتوحشة فى جزيرة كريت لصيدها، وقيل أنها ابنة زيوس ورآها الملك مينوس وأسر بجمالها، فعرض عليها حبه ولكنها رفضت، ثم حاول مينوس استخدام العنف معها إلا أنها فرت منه وبعد ملاحقة دامت تسعة أشهر قذفت بريتوماتيس بنفسها من فوق صخرة عالية فى البحر لتهرب من مينوس فوقعت فى شباك بحار، ولهذا السبب أطلق عليها اسم ديكتينا، ورفعتها أرتميس إلى صفوة الخالدين جزاء لطهارتها، ومنذ ذلك الحين كانت تظهر للملاحين أثناء

الليل - وفى المسرحيات أطلقوا على ديكثينا بريتوماتيس أسم أرتميس الكريتية.

وكان الإغريق يقرنون مع الإلهة الأم إلها ذكراً، وفى الأصل يعتبر هذه الإله خادماً للإلهة الأم كما كان متبعاً فى ديانات غرب آسيا، ولكن لم يظهر أى دليل على وجود علاقة بين الإلهة الوثنية الأم وإله إغريقى بعينه، وكان من الضرورى أن يلقب ذلك بلقب ما مثل الإلهة التى اقترن بها، فظهر لقب استيريوس أى النجومى، ومما يميز الإله الكريتى أنه كان يجمع بين ملامح إنسانية وحيوانية، ومثل عديد من الديانات الآسيوية اصطلح الإغريق منذ أقدم العصور على أن يكون الثور رمزاً للقوة، وأصبح الثور فيما بعد شعار الإله الوثنى الأكبر، ولعب دوراً هاماً كذلك فى الأساطير الكريتية حتى أصبح ملازماً للطبيعة الإلهية الوثنية، فمينوتور نظير الثور لامينس، مثل إنكى عند السومريين الذى كان يمثل أيضاً ثور الأرض والسماء المتوحش.

ولم يكن الثور هو المظهر الوحيد الذى صور عليه الإله الإغريقى (فبجانب مينتور كان يوجد أيضاً مينوس)، وإنما صور كذلك أيضا فى شكل بشرى.

شمولية الفكر الإغريقى:

يتميز العقل الإغريقى بروح الشمولية فى نظرته للأمور، لقد قابلنا أمثلة واضحة على ذلك، وعلى الأخص فى أعمال هوميروس فعلى

الرغم من حبه للتفاصيل وإظهار للشخصية المميزة للأبطال إلا أنه يضعها جميعاً فى إطار عالمى، وتتمثل الشمولية أيضاً فى أن كثيرين من الإغريق كانوا يجمعون فى أشخاصهم عدة تخصصات، فصولون كان فى نفس الوقت مصلحاً سياسياً واقتصادياً ورجل أعمال وشاعراً كما تبدو نظرة الإغريق العامة الشاملة فى نظام المدينة الحرة الإغريقية (Polis)، فهى ليست آله للحكم ولكنها كيان يمس كل نواحى الحياة بداخلها، فالعقل الحديث يقسم التخصصات والأفكار إلى نوعيات مختلفة، ولكن الغريزة الإغريقية على العكس من ذلك تأخذ بالنظرة الشاملة، وترى الأمور على أنها كل مترابط متكامل، وخطب كل من كليون (Cleon) وديودوتوس (Diodotus) لها نفس الاتجاه ولكى نوضح هذه الشمولية الإغريقية فى العقل والفكر والإغريقيين نتناول ناحية يختلف فيها الإغريق كلية عن البرابرة (كما كانوا يسمون الشعوب الأخرى المعاصرة لهم، وعن معظم الشعوب الحديثة ونقصد ذلك التمييز والفصل الذى درج عليه أصحاب الأديان السماوية والشعوب ذات الحضارات القديمة فى الشرق بين الجسد وبين الروح أى بين الجانب المادى والجسدى وبين الجانب الروحى، فأنه لم يكن لدى الإغريق، على الأقل حتى زمن سقراط وأفلاطون، فقد كان الإغريقى ينظر إلى الإنسان ككل، أما فكرة أن الجسد مقبرة للروح فإننا نجدها لدى بعض الأديان الإغريقية الغامضة، وعند أفلاطون، وفى نظريته عن الخلود، ولكنها لا تمثل الفكرة الإغريقية المميزة، فالإغريقى يرى

أن التدريبات الجسدية جزء هام من التربية والتعليم، وبالنسبة للمدينة الإغريقية كان أمراً طبيعياً أن يكون لها جمنازيا (Gymnasia) كما يكون لها مسرح أو أسطول حربى ولكن الجمنازيا كانت تستعمل بواسطة رجال من كل الأعمار ليس فقط للتدريبات الجسدية بل أيضاً للتمرينات العقلية.

ولعل تنظيم المباريات المحلية أو بين الدويلات الإغريقبية المختلفة وبين بعضها البعض أن يوضح بجلاء مدى شمول النظرة الإغريقية فالأغريقى اعتبر الألعاب جزءا من عقيدته الدينية، فالألعاب الأولمبية كانت تتم تحت رعاية المعبود أبوللو، والألعاب الباناثينية (Panathenic) تكريما للمعبودة أثينا، وكان الشعور الذى يوحى بذلك طبيعياً، والمهم أنها وسائل لاستعراض الفضائل البشرية تلك الغاية فى نظرهم كانت تستحق أن تقدم قرباناً للألهة، وبنفس المعنى كانت تلك الألعاب تقام لأحد الأبطال الراحلين كما حدث بالنسبة لبطروكولس فى الإلياذة.

وكلمة Arete تنطبق على العقل كما تنطبق على الجسد، فلم يكن هناك ما يمنع من ربط الموسيقى بالرياضة البدنية، ويتضح ذلك فى اعتبار عزف القيثارة جزء أصيل فى الألعاب البيثية، ذلك لأن أبوللو نفسه كان يعتبر سيد القيثارة.

فالألعاب تصمم لاختبار الفضيلة عند الإنسان ككل وليس لاختبار مهارة واحدة خاصة عنده.

وكانت الألعاب العادية تشمل الجرى لمسافات قصيرة وسباق الجرى لمسافة طويلة وسباق الجرى بكامل التسليح، ورمى القرص

ثم القفز السريع والمصارعة والبوكس وسباق العربات.

ويعتبر الفائز فى لعبة من الألعاب الرئيسية رجلا مثالياً، بل بطلا أسطورياً وعلى هذا الأساس يتم تكريمه فى حفلات عامة فى قاعة المدينةويشمل ذلك منحه الحق فى الحصول على وجبة الغذاء على نفقة الدولة طوال حياته، وأحياناً يكلف أحد الشعراء بإعداد قصيدة لتلقى بمناسبة تكريم البطل فى احتفال عام أو فى مناسبة دينية، فنجد أنه من بين أعظم شاعرين من القرن الخامس وهما أسخيلوس وبندار عرف الأخير كشاعر قصص كتب قصائد فى مديح الأبطال.

وقد يبدو غير مألوف لنا أن يكتب شاعر جاد قصائد مديح للرياضيين، والأغرب من ذلك أن تتضمن تلك القصائد الفقرات التالية:

إن الذى يفوز فجأة بجائزة قيمة، فى أغلى سنين الشباب، يرفع عالياً بالأمل، وتحلق رجولته بأجنحة فى السماء، يضم فى صدره ما هو أحسن من الثروة هى فترة ابتهاج الإنسان، حالما تسقط على الأرض ذلك هو الإنسان، طيف فى حلم، ولكن عندما تزوره عظمة الإله، تنعكس فوقه أشعة مضيئة، فما أحلى الحياة.. يا أجينا الأم العزيزة، اهدى هذه المدينة إلى سبيل الحرية من خلال زيوس، وبركة أخوس Aeacus البطل وبيلوس Peleus.

تلك كانت خاتمة لقصيدة كتبت لتمجيد شاب من أجينا انتصر فى مباراة للمصارعة فى دلفى ولم تكن كل مدائح الشاعر بندار بهذه النظرة المتشائمة، ولكنه كتب تلك القصيدة وهو متقدم فى السن كما كان أصدقاؤه الإجينيتيون، وهم فرع من الشعوب الدورية، خاضعين لأثينا.

ولكن الأمر الذى يحتاج إلى الإيضاح هو أن الشاعر بندار عندما كتب مدائحه تلك لم يكن يفكر فى المباريات على أنها مجرد رياضة بدنية، وأنما كان يركز على الفضيلة بكل ما فيها من معان عندما تظهر على يدى الفائز ومن خلالها، كان ممكناً لأى شاعر يونانى أن يخرج على أية شكل من أشكال الفضيلة سواء الشخصية منها أو تلك التى تنسب إلى المدينة الحرة وهكذا استطاع بندار أن يجعل من الألعاب والمباريات الرياضية شيئاً أكبر من نظرة الرجل العادى لها، فأصبحت عنده عبارة عن مزيج من مباريات رياضية، أخلاقية وروحية، تعتمد على الذكاء.

وبعد وفاة بندار بحوالى عشرين عاماً كتب الشاعر يوريبيديس عن الأبطال الأولمبيين: إنهم أناس لهم رءوس بلا عقل يتقبلون ترحيب المدينة، مع أنهم لم يفعلوا لها شيئاً يستحقون عليه ذلك، كما أن بندار نفسه قد كتب شعراً عن أكسنوفون أحد أبطال الألعاب من مدينة كورنثة، وقال عنه أنه لا يعدو أن يكون صائد كئوس ولا شىء غير ذلك.

. الخلاصة أن الحاسة الإغريقية لرؤية الأمور بنظرة شاملة هى الصفة المميزة للفكر الإغريقى.

والصفة الأخرى المميزة للفكر الإغريقى هى اعتقادهم الراسخ بالأسباب، فالإغريق يرى أن كل شىء فى الكون يخضع لقانون وله تفسير، حتى عند هوميروس نجد ذلك واضحاً، فوراء الآلهة قوة غير مرئية يسميها أنانكا أى الدورة أو النظام الكونى الذى يخضع له حتى الآلهة أنفسهم.

مقدونيا توحد بلاد الإغريق

رأينا كيف أقدمت إسبرطة على طلب مساعدة الملك الفارسى خشيار شاى «إجركسيس الثانى» ضد أثينا فى مقابل تسليمه المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى، وضيعت اسبرطة سمعتها وأصبحت فى واقع الأمر ظلاً للعدو الفارسى.

إلا أن مدينة طيبة استاعطت أن تقضى على نفوذ إسبرطة الذى ظلل بلاد الإغريق فترة، وطمعت فى تكوين إمبراطورية بعد أن حررت الإغريق من سلطان إسبرطة، ولكن عجزها أضعف بلاد الإغريق أمام غزو الملك المقدونى فليب الثانى الذى أقبل من مقدونيا قاصداً توحيد بلاد الإغريق ومقدونيا لمواجهة الخطر الفارسى.

ففى عام ٣٥٩ قبل الميلاد كان الحكم قد انتقل فى بللا عاصمة مقدونيا إلى الملك فليب الثانى والد الإسكندر الثالث الأكبر، وكان نظام الحكم فى مقدونيا ملكيا أرستقراطياً.

واستطاع هذا الملك تكوين جيش قوى، وشرع فى توحيد بلاد الإغريق حتى يتمكن من مساعدة جميع الإغريق فى مواجهة الفرس وإجلائهم عن إغريق آسيا الصغرى.

وبدأ الملك فليب الثانى يصطدم بأثينا، وكانت قد عادت لتكوين إمبراطورية ثانية، متناسية كل الويلات التى تسببت فيها إمبراطوريتها الأولى وذلك باستيلائها على كثير من المدن الحرة وإخضاعها.

وأخذ الملك المقدونى يستولى على المدن الإغريقية مدينة تلو الأخرى منتهزاً الفرصة عندما استغاثت به إحدى الكتل الإغريقية المتصارعة فى بلاد الإغريق، واستولى على جزء كبير من المدن الإغريقية، إلا أن أثينا لم توافق على تسليم حريتها للملك المقدونى وفى عام ٣٣٨ قبل الميلاد أرسلت أثينا متعاونة مع طيبة جيشاً بينما امتنعت إسبرطة عن مواجهة فليب، ولكن الجيش هزم شر هزيمة، وقد أبلى الإسكندر وكان عمره حينذاك ثمانية عشر عاماً - بلاء حسناً فى هذه المعركة.

وسلمت أثينا بعد أن عامل فليب أسراها أحسن معاملة، واستطاع أن يؤلف من المدن الإغريقية حلفاً «فيما عدا إسبرطة» رسم له الطريق

للتمهيد لمواجهة حاسمة مع الفرس فى آسيا الصغرى، وبهذا استطاع فيلب أن يحقق الوحدة الإغريقية التى عجزت كل من أثينا وإسبرطة عن تكوينها، ولكن هذه المرة دخلت فيها مقدونيا التى كان الإغريق ينظرون إليها من قبل على أنها بلاد مختلفة.

وفى عام ٣٣٦ قبل الميلاد اغتيل الملك فيلب الثانى بيد أحد ضباطه، وصعد الإسكندر إلى السلطة مؤيدا من الجيش، إلا أن الثورات ،واجهته فى تراقيا والليريا فى الشمال ثم فى أثينا، بالإضافة إلى المؤامرات داخل مقدونيا نفسها، ومع ذلك استطاع الإسكندر السيطرة على الموقف، وعندئذ أراد أن يكسب ود الإغريق فى المدن الإغريقية فأعلن انتهاء العمل بنظام الحكومات الدكتاتورية، وأن تعود المدن إلى النظام الذى كان يتفق مع قوانينها، وفى مقابل ذلك تعاهدت المدن الإغريقية بمساعدته بالمال والرجال لتحقيق أهدافه.

ودون أن نخوض فى التفاصيل نقول إن الإسكندر الأكبر تأهب بعد ذلك لملاقاة الفرس، وبدأ تجواله العظيم فى عام ٣٣٤ قبل الميلاد، فعبر بوغاز الدرنيل، ونزل عند رأس سيجوم ليسير فى نفس الطريق الذى اعتقد أن أجاممنون قد سار فيه من قبل لحصار طروادة.

وهزم الاسكندر جيشاً فارسياً عند جرانيكيوس فى مايو ٣٣٤ ق.م وهو فى طريقه للقاء الجيش الرئيسى للفرس فى أسوس فى نوفمبر ٣٣٣ق.م وكان بقيادة الملك الفارسى داريوس الثالث لما، ولا دارت

الدائرة على الملك الفارسى فر من موقع المعركة مخلفاً وراءه معسكره وبداخله أهل بيته الذين سقطوا فى يد جيش الإسكندر الأكبر، وغنم الإغريق غنائم كثيرة ولم يفكر الإسكندر فى مطاردته.

وتوجه الإسكندر بعد ذلك جنوباً، فسلمت له دمشق ثم صيدا، وقامت مدينة صور الفينيقية لمدة سبعة شهور مقاومة عنيفة، ولكنه استطاع فتحها فى ٣٣٢ ق.م والانتقام من أهلها، وسلمت له أورشليم وسقطت غزة بعد مقاومة.

واتجه الإسكندر إلى مصر فعبر الحدود عند بيلوزيوم فى ديسمبر ٣٣٢ ق.م وكانت تعد ولاية تابعة للإمبراطور الفارسية، فتحت له أبوابها نظراً لعدم وجود قوات مدافعة كافية، حيث قتل الوالى الفارسى مع قواته ضمن المعارك الرئيسية فى آسيا وتولى مكانه والى جديد اسمه مازاكيس واحتفل الإسكندر فى منف بانتصاره، ثم توجه شمالاً عبر فرع النيل الكانوبى حتى مصبه عند رشيد الحالية ثم اتجه غرباً وفى الموقع المناسب الذى اختاره المصريون من قبل وأقاموا فيه قرية راكودة ما بين الساحل وبحيرة مريوط وضع أساس مدينة تحمل اسمه وهى الإسكندرية وقام المهندس دينوقراطيس بتخطيطها.

وشد الإسكندر الرحال على ساحل البحر المتوسط متوجهاً نحو برقة فاستقبله أهلها فى منتصف الطريق عند مرسى مطروح مرحبين بقدومه، ولكن وجهته كانت واحة سيوة فى داخل الصحراء الغربية

حيث عرج جنوباً لزيارة وحى الإله آمون الذى اشتهر كهنته فى العالم القديم بالنبؤة وقراءة الطالع مثل وحى دلفى فى بلاد الإغريق، بعد أن استشار الوحى «وسمع ما يسره» كما قال لرفاقه بعد الزيارة ـ عاد متخذاً طريق الصحراء الوعر الذى ضاعت فيه قوات الملك قمبيز الفارسى من قبل، فأثبت بطولة خارقة، ليكسب رصيداً جديداً بين أفراد جيشه وبين الشعب الإغريقى الذى كان يقدس الأبطال.

وبعد أن اطمأن إلى إخلاء سواحل البحر المتوسط من أى أثر للنفوذ الفارسى عاد مرة أخرى فى ربيع ٣٣١ ق.م إلى آسيا ليكمل ما بدأ، ويضع نهاية للإمبراطورية الفارسية، حيث التقى بالجيش الفارسى فى جوجاملا بالقرب من نهر دجلة عند أربيلا وهى أربيل حالياً شمال العراق وتقع بالقرب من موقع المدينة الآشورية القديمة نينوى، وهزم الجيش الفارسى وقتل قائده الملك دارا الثالث بيد أحد جنوده بعد أن حاول الفرار بحياته من شر الهزيمة ودمرت عاصمة الفرس برسيبوليس، ووصل الإسكندر إلى بابل وتقبل ولاء أهلها وأمضى السنوات القليلة التالية فى التقدم فى بلاد هندكوش والبنجاب حتى رفضت قواته أن تواصل الحرب إلى أبعد من دلتا نهر الهندوس، فعاد إلى بابل حيث أصيب بالحمى ومات فيها بعد حكم بلغ إثنتا عشرة سنة.

ونعلم أن الإسكندر قد توفى ٣٢٣ ق. م ودفنه بطلميوس فى منف مؤقتا ثم نقله إلى الإسكندرية وأن إمبراطورية الإسكندر قد انقسمت بعد وفاته إلى ثلاث ممالك هى مملكة مقدونيا، ومملكة سوريا، وملكة مصر

التى نطلق عليها مصر البطليمية نسبة إلى اسم حاكمها الأول: بطليموس.، وكانت مملكة مصر على علاقة طيبة بروما على عكس حكام مقدونيا وسوريا، ومن أجل ذلك أرسلت روما جيشاً إلى مقدونيا ثم إلى آسيا الصغرى، وكانت النتيجة أن تحررت كل بلاد الإغريق من الحكم المقدونى، كما خسرت سوريا كل ممتلكاتها فى آسيا الصغرى. ومع ذلك ظل الرومان بعيدين عن محاولة حكم المناطق التى فتحوها فى تلك البلاد إلا أن كل المنطقة التى نطلق عليها منطقة البحر الإيجى أصبحت تدريجياً تخضع للسيطرة الرومانية. وما أن حل عام ١٥٠ قبل الميلاد إلا وأصبحت روما سيدة البحر المتوسط كله ماعدا جنوب الغال، أما أسبانيا وإيطاليا وكورسيكا وسردينيا وصقلية واليونان وغرب آسيا الصغرى وشمال إفريقيا فكلها خضعت إما للحكم الرومانى المباشر، وإما أنها أبدت الولاء للرومان، فيما عدا مملكة مصر البطلمية، التى استمرت محافظة على استقلالها وحريتها، مع وجود صلات صداقة مع روما.

* * *

مــراجع مختارة

١ ـ إبراهيم سكر: الأساطير الإغريقية، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٦.

٢ ـ أحـمـد عـتـمـان: الأدب الإغـريقى تراثاً إنسـانياً وعـالمياً ـ دار المعارف القاهرة، ١٩٨٧ الطبعة الثانية.

٣ ـ السيد أحمد الناصرى، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، القاهرة ١٩٧٦.

٤ ـ ديوازنت، ول، قـصـة الحـضـارة، ترجـمـة مـحـمـد بدران الجـزء السادس القاهرة ٢٠٠١ .

٥ ـ عبداللطيف أحمد على: التاريخ اليونانى ـ العصـر الهللادى ـ مطبعة النهضة العربية.. بيروت ١٩٧٤ ـ ١٩٧٦.

٦ ـ على عبدالوافى، الأدب اليونانى القديم.. القاهرة ١٩٦٠ .

٧ ـ لطفى عبدالوهاب يحيى: اليونان، مقدمة فى التاريخ الحضارى دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٤ .

٨ ـ Betty Radice, Who is who in the ancient world, A hand book, Great Britan 1970, 1971.

الموضـــوع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٨٢٥ /٢٠٠٢

I . S . B . N 977 - 01 - 7814 -4



يتميز العقل الإغريقى بروح الشمولية فى نظرته للأمور، لقد قابلنا أمثلة واضحة على ذلك، وعلى الأخص فى أعمال هوميروس فعلى الرغم من حبه للتفاصيل وإظهار للشخصية المميزة للأبطال إلا أنه يضعها جميعا فى إطار عالمى، وتتمثل الشمولية أيضا فى أن كثيرين من الإغريق كانوا يجمعون فى أشخاصهم عدة تخصصات، فصولون كان فى نفـ
مصلحا سياسيا واقتصاديا ورجل أعمال وشاعرا كـ
الإغريق العامة الشاملة فى نظام المدينة الحرة الإغريقيـ
فهى ليست آله للحكم ولكنها كيان يمس كل نـ
بداخلها.

تصميم الغلاف: صبرى عبد الواحد

٣٥٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب